الماضي يعود .. دائما
روايةَ
فرج خطاب

فرج خطاب

رواية

الماضي يعود .. دائماً

obeikan.com

المقدمة

إن الفأر الهارب مهما إنتقل إلي الجحور المختلفة .. فسوف يكون أخر جحر هو المصيدة !

فالأيام لا تنسى ..

والماضي سوف يطاردنا بأفعالنا ..

مهما طال الزمن .

obeikan.com

الإهداء ..

إلي كل أحبائي ..

الكاتب يرحب بالتواصل على الإميل :

faragkhatab@yahoo.com

obeikan.com

الفصل الأول

الهروب

كانت الساعة تشير إلي السابعة صباحا عندما أفاق كمال من نومه علي رنين هاتفه الخلوي .. إلا أنه قبل أن يجيب فرك عينيه .. وألقي نظرة سريعة علي ساعة الحائط المعلقة أمامه .. فتثائب وتمطي .. واستعاد إلي الذاكرة صورا من الحلم الذي يراوده بصورة تكاد تكون يومية ..

لقد سئم هذا الحلم الذي يكدر صفو حياته بانتظام ..

فالطيور الجارحة تطارده .. تكاد تأكل من رأسه .. والأشباح تسيطر علي مخيلته .. وتكاد تطبق علي أنفاسه .. بينما يلفه ضباب داكن .. ويمتليء قلبه خوفا ورعبا ..

فيركض ويركض .. وشيء ما يطارده .. لا يدري ما هو .. فإذا حاول الهروب سقط من ارتفاعات شاهقة .. وبينما يرفرف في الهواء ويترنح أثناء سقوطه .. يستيقظ من نومه والخوف يكاد يقتله ..احساس رهيب يقتله وهو طائر يرفرف أثناء سقوطه من هذه الإرتفاعات ..

تململ في مكانه .. إلا أنه انطرح علي وجهه .. ثم دفن رأسه في الوسادة .. وأسلم عينيه للنوم مرة أخرى ..

وعاود الرنين يلهب أذنيه من جديد ..

ما هذا ..

تساءل مستنكرا ..

من يطلبني في هذا الوقت المبكر ..

وأغلق الخط في وجه الطالب .. وألقي برأسه علي الوسادة .. علّه يستطيع النوم مرة أخرى..

كان كمال قد بدأ يسلم عينيه للنعاس والنوم بعد أن عاد من صلاة الفجر في المسجد .. وهو ما اعتاد عليه كل يوم .. فهو لا ينام كل يوم إلا بعد أداء صلاة الفجر في المسجد ..

أما هذه الليلة .. فقد كانت ليلة مميزة .. ملأت قلب كمال وزوجته حسناء بالسعادة الغامرة .. بل غمرت البيت كله بالسعادة التي تنير مستقبل أي زوجين بالحب والأمل .. عندما يتيقنا بأنهما سوف يصيران أبوين بعد بضعة أشهر ..

فقد عادت حسناء وكمال من عيادة طبيبة التوليد الساعة العاشرة مساء أمس بعد أن طمأنتها الطبيبة بأنها حامل في شهرها الثاني ..

لم تكن حسناء تدري كيف تتحمل هذه الفرحة التي غمرت حياتها وملأت قلبها ..

وصاحت مهللة في سعادة كادت تجعل قلبها يقفز طرباً ..

- **أنا حامل يا كمال .. أنا حامل . .**
- **الحمد لك يا رب .. الحمد لله ..**

بهذا أجابها كمال وهو أكثر منها سعادة .. وقد أقبل عليها وقبل جبينها ..

- **ألف مبروك يا حبيبي ..**
- **ألف مبروك لنا يا حبيبتي .. أطلبي ماما وبابا لكي تخبريهما .. فهما في أشد الشوق لمعرفة هذا الخبرالسعيد ..**
- **نعم .. نعم .. ولو أنهما لن يتركاني أنام هذه الليلة .. ولقد كانت علي حق ..**

وكان هذا ما جعل كمال يفتح عينيه بصعوبة عندما رن جرس الهاتف .. وألقي بنفسه علي السرير مرة أخرى عل الطالب يتركه في حاله .. ويدعه ينام ولو لبعض الوقت ..

إلا أن هذا لم يحدث ..

فقد أعاد الطالب محاولته مرة أخرى بالحاح ..

ولم يترك التعب والنعاس الشديد فرصة لأن يعرف كمال أن الرقم الذي طلبه هو الرقم الخاص .. علي الموبايل الذي يخصصه لأسرته في الشرقية ..

ولذا فقد ضرب بكفه فوق جبهته .. عندما عاود الطالب الإتصال ..

ياإلهي .. إنه من الشرقية .. لعله خيراً يا رب .. وتناول الموبايل .. وأجاب بصوت يملأه النعاس ..

- **ألو ..**
- **كمال !**

- **نعم يا بابا .. أنا آسف .. فلقد ألقيت بجسدي فوق السريربعد صلاة ..**
- **لا وقت يا كمال ..!!**
- **خير يا ..**
- **بسرعة يا كمال .. لا تقضي هذا النهار في الإسكندرية ..اصطحب زوجتك .. واتجه فوراً إلي القاهرة .. فالقاهرة كبيرة ومزدحمة .. وسوف تستطيع أن تذوب بين أهلها.. ولن يتعرف عليك أحد هناك ..**
- **هل ..**
- **نعم .. نعم .. لقد تعرف عليك أحدهم في أحد الشواطيء ..والحمد لله أنه لم يستطع تعقبك لكي يتعرف علي عنوان سكنك وإقامتك .. وإلا كانت المشكلة أكبر .. إلا أن عائلة المرشدي قد قرروا فوراً أن يرسلوا من يبحث عنك في الإسكندرية ..وقد يكون ذلك اليوم ..**

فأجاب كمال متلعثماً .. مرتعباً .. مرتعشاً .. أما نبرة صوته فكانت صادرة من إنسان استسلم للقدر .. غارقاً في بحر من الحزن والأسى .. وشعر كأنه يختنق .. وأحس بشيء يقف في حلقه .. حتي ليكاد يكتم أنفاسه .. وأما عيناه فقد اغرورقتا بالدموع .. حتي أنها كادت تسيل علي خديه .. وسمع نفسه يقول في كلمات متقطعة .. وكأنه يبذل مجهوداً لكي يتكلم .. أو كمن يبحث عن الكلمات ..

- **حاضر .. حاضريا أبي .. ولكن الليلة فقط علمت أن حسناء زوجتي .. حامل ..**
- **لن يضيرها الإقامة في القاهرة .. ألف مبروك ..**

وشعر الأب بالمصيبة التي حطت فجأة علي رأس ولده .. وأردف في انكسار وإشفاق ..

- **إنني أشفق عليك يا كمال .. وأعرف حجم ما أطلبه منك .. ولكن أحيانا لا يترك لنا القدر بدائل للاختيار .. فلا مندوحة من الإنصياع لأوامره ..**

وشعر الإبن بقلب والده الواجف .. الخائف .. فقال يطمئن والده .. وهو في حاجة لمن يطمئنه ..

- **حالاً يا أبي .. سوف أدبر أمر السفر حالاً .. لا عليك .. كن مطمئناً .. سوف تسيرالأمور علي ما يرام .. وسوف أتولى أمر إقناع حسناء .. بالسفر ..**

لم يكن لديه رفاهية التفكير في أمر السفر..

إلا أن كمال ألقى نظرة حانية علي وجه حسناء المشرق .. وقد كان لها نصيب كبير من إسمها .. وأطال التمعن .. وكأنه يحاول أن يعرف .. هل هو شعاع الضوء الذي تسلل إلى الغرفة عبر الستارة المنسدلة على النافذة .. وأضاء وجهها بضوء النهار .. أم أن سعادتها الليلة زادتها إشراقاً .. ولكن لم يعجبه كلا الاحتمالين .. وقال يحدث نفسه :

- **لا هذا ولا ذاك .. فوجه حسناء دائم الإشراق .. إن إشراق وجهها لا يخبو .. وبهاؤها لا يأفل ..**

وكانت حسناء هي الشيء الجميل في حياته .. إنها الحلم الوحيد من أحلامه الذي كان حياً .. يحيا ويتنفس ولا يموت أو يتلاشى في وجه الواقع !

يا لك من حسناء !

واقترب من وجهها .. وبنعومة .. وحنان .. رفع بيده خصلة الشعر التي انسدلت علي خدها .. وأحني وجهه عليها .. وقبلها قبلة أودع فيها كل حبه .. ونهل منها كل الدفء لقلبه المحب !

وكأن جمال حسناء .. وحبه العميق لها .. قد أنساه شيئاً هاماً .. فقال :

- **آه .. يا الله ! .. لقد كدت أنسى ..**

وانتزع نفسه من جوار حسناء انتزاعاً .. ونهض من فوق السرير ..

ولكنه لا يعرف كيف يتصرف .. ولا يدري ماذا عليه أن يفعل .. إنه كالتائه ..

وران الصمت الرهيب ..

وبدت علي وجه كمال أحاسيس مميته .. والخوف المرعب ..

وتسارعت ضربات قلبه .. وذهبت به أفكاره كل مذهب ..

وأيقن أنه لا بد مما ليس منه بد .. ونقب بين أفكاره المضطربة عن مخرج لهذه المشكلة الرهيبة

ثم أخذ يتحدث إلي نفسه وكأنه يهذي ..

- **عليّ أن آخذ حماماً سريعاً .. وأرتب القليل من ملابسي وملابس حسناء .. ثم أوقظها .. ولنتناول طعام الغذاء اليوم في الحسين .. أو السيدة زينب ..**

ولكن ما ذنب هذه الإنسانة التي باتت ليلتها تحلم بأول طفل لها .. والتي منحتني قلبها .. وكل حنانها .. بل كل حياتها ..

ولكن ليس هناك من خيار أخر ..

و قبل أن يتناولا طعام الغداء في القاهرة .. كان قد عرج أولاً علي فندق فاخر .. خمس نجوم .. وحجز به جناحاً له ولزوجته لمدة ثلاثة أيام ..

- **هل بهذه السهولة .. وبهذه السرعة أيضاً .. استطعت أن تقنعني أن نسافر .. إلي القاهرة ؟!**

سألته حسناء هذا السؤال وهي تتناول طعام الغداء .. وهي تداعبه ..

ومع ابتسامة رقيقة استطاع أن يرسمها علي شفتيه بتكلف شديد .. أجابها هامساً :

- **أليس طعاماً رائعاً ؟!!.. ثم أنك حبيبتي .. ثم أنني .. ثالثاً..**

أريد أن أقضي بعض الوقت في الحسين .. أو السيدة زينب .. تبركاً .. وفرحة مني بمناسبة حملك ..أليست هذه مناسبة تستحق منا التبرك بأولياء الله الصالحين ؟! ..

ألا يروق لكِ قضاء بعض الوقت في الحسين .. والسيدة زينب ؟! .. آه .. لا أعتقد أن هناك اعتراض !!

- لا ..لا .. ليس هذا .. ولكن أعتقد أن حبي لكَ .. وقلبي الضعيف هو الذي يجعلني أسلسُ قيادة !
- وأنتِ تعلمين أنني أذوبُ فيكِ حباً وعشقاً ..
- هذا هو .. إنه كلامك الجميل هذا هو الذي يجعلني لا أرفض لك طلبا .. ولكن قل لي .. كم يوما ترغب في قضائها هنا .. في القاهرة ؟!
- ربما .. وربما ..
- !!!!!!!!!

وابتسمت ابتسامتها الساحرة .. بينما عيناها ووجهها يفشيان أنها لا تعرف ماذا يقصد ..

قالت .. وهي تنظر إلي عينيه .. في انتظار الإجابة ..

- عدنا للألغاز ..

فقال موضحا : ..

- ربما نمكث هنا حتى تقولي بنفسك كفى .. وربما تقولي بنفسك دعنا من الإقامة في الإسكندرية .. ولتكن إقامتنا دائمة في القاهرة !

ثم استطرد بعد أن مسح يديه .. حيث فرغ من تناول طعامه ..

- ربما أعد لك مفاجاة .. تجعلك تقولين هذا بنفسك !
- أفصح يا كمال !! .. هل حقا هناك مفاجأة ؟!

وكانت قد اكتفت بما أكلت .. وشربت العصير ..

- هيا بنا يا حبيبتي ..
- إلي أين ؟!

- **أرجو أن تعجبك المفاجأة ..**

وكان كمال قد سأل مدير الفندق إذا كان يعرف ولو بالمصادفة إذا كان أحدهم يعرض فيلا للبيع .. أو شقة على النيل ..

- **أين تريدها ؟! ..**
- **في وسط البلد .. أو حتى شقة .. بشرط أن تكون على النيل ..**
- **موجود طلبك الأول .. ولكن قيمتها مرتفعة جدا ..**
- **دعني أقرر بنفسي .. إذا كان ثمنها مرتفعا أم أنها تستحق!**
- **هيا بنا ..**
- **ألستَ بحاجة للاتصال بالمالك؟**
- **سوف أفعل حالاً ..**

وتركه كمال يجري ترتيباته .. وعاد إلي حسناء وأخبرها أنه قد حجز لهما جناحا بالفندق لمدة ثلاثة أيام ..

وفي الوقت الذي كانت تأخذ فيه حماما .. كان كمال قد عاد إلي مدير الفندق وعلم أنه رتب له موعدا مع المالك خلال ساعتين .. للمعاينة ..

ولذلك عندما سألته حسناء ..

- **إلي أين ؟!**

قال :

- **أرجو أن تعجبك المفاجأة ..**

وكانت الفيلا مذهلة .. كانت حسناء تفغر فاها منذ اللحظة الأولي لدخولها الفيلا .. كاد قلبها يقفز طربا من جنبيها !..

وكانت الفيلا تتكون من دورين .. الدور الأرضي يضم غرفة معيشة .. ومطبخا .. بجانب تراس كبير بواجهة زجاجية بارتفاع دورين .. أما الدور الثاني فيحوي غرفة نوم رئيسية وحجرتان اضافيتان .. كما كان هناك حمام سباحة في المنطقة الخضراء المواجهة للفيلا مباشرة ..

- **كمال !!**
- **!!!!!!**
- **ياللروعة .. هل هذه هي ؟! .. ولكنها ستكون باهظة الثمن !!**
- **يا حبيبتي .. إنها لا تساوي عندي ثمن هذه السعادة التي تغمرك .. وهذا البريق اللامع الذي يتلألأ .. في هاتين العينين الخضراوتين .. الرائعتين .. وكأنهما نجمتان تتلألآن في كبد السماء ..**
- **هل يمكنني أن أقبلك يا حبيبي؟!**
- **في غرفتنا يا حبيبتي .. سيكون لديك الوقت الكافي لكي تفعلي ما هو أكثر من ذلك !!**
- **إنها أجمل من فيلا بابا في الإسكندرية .. سوف يفرح هو وماما كثيرا بها ..**
- **الحمد لله يا حبيبتي .. الذي أهدانا إياها .. !**

وهكذا .. تم له ما شاء .. دون أن يعرف أحد عنه أي شيء .. لماذا غادرالشرقية .. لماذا ذهب إلي الإسكندرية .. لماذا غادر الإسكندرية .. لماذا ذهب إلي القاهرة !!

الفصل الثاني

الإسكندرية

بدأ العمل علي إنشاء مدينة الإسكندرية علي يد الإسكندر الأكبر سنة 332 ق. م.

حيث اتخذها وخلفاؤه من بعده عاصمة لمصر لما يقارب ألف سنة حتي الفتح الإسلامي لمصر سنة 641 م. وكان ذلك بقيادة عمرو بن العاص ..

ويبلغ تعداد سكانها نحو الأربعة ملايين نسمة ..

وقد اشتهرت الإسكندرية عبر التاريخ من خلال العديد من المعالم مثل مكتبة الإسكندرية القديمة والتي كانت تضم أكثر من ثمانية ملايين كتاب .. وما يزيد عن 700,000 مجلد ..

وهناك أيضا منارة الإسكندرية والتي أعتبرت من عجائب الدنيا السبع القديمة ..

ولقد سميت الإسكندرية بعروس البحر الأبيض المتوسط ..

وهي أيضا موطن عروس كمال .. التي بهرته بجمالها .. وبساطتها .. ورقتها ..

حيث اتجه كمال إلى الإسكندرية .. قادما من الشرقية .. في جنح ظلام إحدي الليالي .. عله يستطيع أن يتوارى عن عيون عائلة المرشدي ..

obeikan.com

وفي أحد الفنادق الفخمة .. أقام كمال بضعة أيام .. يحاول أن يفهم ما حدث .. ويستوعب الوضع الجديد .. الذي عليه أن يتعايش معه ..

ولم تطل فترة إقامته في الفندق .. فقد قام بشراء شقة كبيرة في أحد الأبراج .. في شارع النبي دانيال ..

وفي أحد الأيام .. وبينما كان يطالع الجريدة اليومية .. قرأ عن إعلانات لشركات تعمل في مجال الإستثمار العقاري والسياحي .. فقال في نفسه .. وكأنه وجد ضالته :

- **آه .. إن هذا هو المجال الحقيقي .. الذي أستطيع من خلاله أن أغطي على نشاطي الأصلي .. وتجارتي ..التي عليّ أن أتريث قليلا .. قبل أن أقرر إقتحامها و مزاولتها !!**

ولكن كيف أقتحم هذا المجال .. إنه مجال يتطلب ربما أكثر من غيره من المجالات .. إلي الخبرة الطويلة في سوق العمل بالسياحة .. والإستثمار العقاري السياحي ..

على أي حال .. فأحيانا تغري كثرة الأموال بالمجازفة .. خاصة إذا كان الثراء قد جاء سهلا .. وما هو قادم ..أكثر .. وأسهل .. وهكذا عقد عزمه .. وإتخذ قراره ..

- **فلنبدأ .. علي بركة الله !**

وفي قلب المدينة .. اشترى كمال طابقين في أحد الأبراج الشاهقة ..

نعم هذا هو المكان الذي خلق لهذا النشاط .. فإنه نشاط يحتاج إلى مظاهر عالية .. وتتسم بقدر كبير من الفخامة

والوجاهة .. وعليّ أن أنفق الكثير في التأثيث .. فالتأثيث لا يقل أهمية عن المكان ..

وقام كمال بتأسيس " شركة الإسكندرية للإستثمارات العقارية والسياحية " .. وبإعلان صغير .. جاءت عشرات البنات اللاتي ترغبن في العمل .. في السكرتارية ..

وكان كمال يرى أن هذه هي أول خطوة .. اختيار أجمل البنات .. مع إجادة اللغة الإنجليزية .. والحاسب الآلي ..

ولحسن الحظ فهن أصبحن كثيرات ..

وكانت عفاف هي أجمل المرشحات للعمل .. وأكثرهن خبرة في مجال الكومبيوتر وأعمال السكرتارية ..

ضغط السيد كمال على زر جرس السكرتيرة .. بعد أن جلس على الكرسي الفخم الخاص بوظيفته الجديدة .. رئيس مجلس الإدارة .. وبعد أن تناول فنجان القهوة ..

- **أفندم ..**
- **أريدك أن ترسلي إعلاناً إلي جريدة الأهرام .. فنحن بحاجة إلي مدير عام للشركة ..**
- **أمرك يا فندم ..**
- **هل تجيدي ذلك ؟!**
- **نعم يا فندم .. تعلم حضرتك أنني قضيت في عمل السكرتارية عدة سنوات .. كما أن لي خبرة جيدة في التواصل مع وسائل الإعلام .. وصيغة الإعلانات عن الوظائف المختلفة ..**

- **حسنا .. بسرعة .. ولكن دعيني أقرأه أولاً قبل أن ترسليه إلي الجريدة ..**
- **أمرك يا فندم ..**

وبعد يوم واحد من نشر الإعلان .. تدفق على الشركة الكثيرون من طالبي شغل الوظيفة ..

كان كمال يجهل كل شيء عن إدارة هذه الشركة .. ولذا فهو لن يقنع إلا بمن يرى فيه المدير الجيد .. حتى يتعلم هو نفسه منه شيئاً فشيئاً ..

واستأذنته عفاف .. السكرتيرة .. في الدخول إلى مكتبه ..

- **ادخلي يا عفاف ..**
- **إن الجميع ينتظر نتيجة المقابلات يا فندم .. فهل هناك من تراه مناسبا فاستدعيه .. هل ترى منهم من هو كفء يا فندم ؟.. على الرغم أنني لم أستشعر منهم أحداً يصلح .. إلا أنني أخشى ألا يكون هذا هو رأي سيادتك ..**
- **في الحقيقة يا عفاف لأ .. ليس من بينهم من أقتنعني بأنه يستطيع أن يدير هذه الشركة بالطريقة التي أرغب فيها ..**

وأدار الكرسي بحيث يواجه النافذة .. ونظر إلي أعالي السماء وكأنه يرصد النجوم .. ثم أردف ..

- **إنني أريد أن أبدأ بداية قوية .. ولن أكون كذلك بغير مدير قوي .. كفء .. يدير الدفة بطريقة احترافية ..فلا أريد أن أكون أنا في واد .. وهو في واد أخر ..**
- **ربما يا فندم إذا ..**

وصمتت عفاف .. فقد ينـهرها إذا ما اقترحت عليه أمرا.. فهي لم تكن قد خبرت ردود فعله بعد ..

إلا أنه بادرها بسؤاله :

- ربما ماذا ؟!
- ربما يا فندم .. إذا أضفنا في الإعلان جملة بسيطة .. قد يأتي من يحوز رضاك .. وثقتك .. وتقتنع به !
- أفصحي يا عفاف .. زيديني ..
- ربما يا فندم .. إذا أضفنا أنه لا يشترط أن يكون المتقدم للوظيفة ذكرا .. فسوف يكون هناك متسعا من الإحتمالات .. وتكون الفرصة أكبر في تقدم إناث .. قد تكون خبرتهن أكثر من الذكور .. أو أنه لم تتح لهن الفرصة في الشركات الأخرى .. أقول ربما ..

ولمعت عيناه .. وارتسمت أبتسامة خفيفة على شفتيه .. تنم عن إستحسان الفكرة .. وقال :

- أشكرك يا عفاف .. فهذا الإقتراح يحسب لكِ .. إذهبي إذن وافعلي ذلك ..

وقد كان ..

وحان وقت إجراء المقابلات ..

وأصلح كمال من هندامه .. وأصلح ربطة العنق .. وجلس في كبرياء وتعالي .. وكأنه يستعد لاجتماع رسمي ..

- عفاف .. أدخلي أول المتقدمين .. أو المتقدمات ..

وكانت عيناه تراقب عن كثب .. من ذا يدخل أولاً ..

هل هو شاب .. هل هي فتاة ..

وقال يحدث نفسه ..

أريد أن أنتهي من هذه المرحلة .. بكفاءة عالية .. وإلا فلن تسير الأمور بالشركة وفق ما أرغب فيه ..

وقطعت حبل أفكاره فتاة .. تدخل بخطوات واثقة .. وتخفي نصف وجهها خلف نظارة طبية .. وسلاسل ذهبية من الشعر الأصفر .. تنسدل فوق ظهرها وكأنها ذيل حصان !!

وكانت تبدو في أواخر العشرينات من العمر .. متوسطة القوام .. وبدا من خلف النظارة عينان متسعتان .. ثابتتان ..

وقد ركزت علي وجه السيد الذي يجلس علي كرسي رئيس مجلس الإدارة .. والذي سوف يختبر خبرتها بعد دقائق ..

ورسمت الفتاة ابتسامة بسيطة علي شفتيها .. اللتان تزينتا بأحمر شفاة .. خفيف .. أحسنت الفتاة في اختيار لونه المنسجم مع لون البلوزة .!

- **صباح الخير يا فندم ..**

وقد أشار إلي الكرسي المقابل له ..

- **تفضلي ..**

وتناول منها ما معها من أوراق .. وبدأ يطالعها ..

- **أسماء ؟! ..**
- **نعم سيادتك ..**
- **ماجستير في إدارة الفنادق .. ثلاث سنوات خبرة في وظيفة مدير عام .. بشركة دار السلام للاستثمار العقاري ..**

- **بالضبط سيادتك ..**
- **ولماذا تريدين ترك عملك يا أسماء بهذه الشركة ..؟!**
- **جميعنا نبحث عن الفرصة الأفضل يا فندم ..!**

إبتسم .. فقد أعجبته صراحتها .. وطموحها ..

- **وهل تعتقدين يا أسماء أنها هنا ؟!**
- **عليّ أن أحاول .. سيادتك !**

وإتسعت شفتاه بالإبتسامة .. التي رأتها أسماء على كل ملامح وجهه ..

و شجعتها تلك الإبتسامة .. فاستتلت ..

- **لديّ أفكار يا فندم .. أرغب في تطبيقها .. وإنجاحها .. هي الفرصة التي أرغب فيها .. وأبحث عنها ..**
- **حسناً .. هاتِ ما عندك يا أسماء .. فإنني أيضا أبحث عن فرصة .. ونجاح مدير الشركة هي فرصتي التي أبحث عنها ..! أبحث عنها أنا أيضا ..**
- **إن فترة دراستي للماجستير قد وسعت من دائرة معارفي في المنتجعات السياحية .. في الساحل الشمالي .. وفي شرم الشيخ .. وفي الغردقة .. وقدمت لهم جميعا دراسات في التايم شير .. أو المشاركة بالوقت .. وتعاملت معهم جميعا في هذا المجال .. أثناء عملي بالشركة .. وأفكاري الجديدة تتعلق بهذا الموضوع .. وسوف أختار مديراً لهذا الفرع من العمل .. بعد إذن سيادتك يا فندم .. أقصد في حال اختياري لشغل الوظيفة**

.. لأن هناك فرع أخر من العمل يوازي في أهميته هذا الفرع الذي حدثتك عنه ..

وصمتت برهة .. عله يعلق علي ما تقول ..

إلا أنه قد آثر أن يترك لها فرصة عرض كل ما لديها ..

ولذا أردفت .. متسائلة :

- **هل أكمل يا سيدي دون أن تعتبره تجاوزاً لحدودي ؟!..**
- **يمكنك ذلك !**
- **يتطلب الأمر عدة أبراج يا سيدي .. أو علي الأقل في البداية برجاً واحداً .. تكون كل الشقق فيه معروضة للتمليك أو للبيع أقصد .. فهل هذا الأمر متاح يا سيدي ؟!.. أم أنه علينا الإكتفاء بالفكرة الأولى ؟!**

وصمتت شفتيها .. في حين ركزت عيناها علي وجه الرجل لكي تتبين رد فعله علي ما تطرحه من أفكار ..

وفكر السيد كمال لثواني .. ثم قال :

- **يمكنك اعتبارها ثلاثة أبراج ..!!**
- **والحال هكذا يا سيدي .. سيكون لهذا الفرع مدير أخر ..وسيكون علينا اختيار مدير كفء للإعلان .. وأخرللتسويق .. وثالث للمبيعات ..**
- **وما دورك إذن يا .. أسماء ؟!**
- **إن هذه يا فندم هي الفرقة الموسيقية .. والفرقة الموسيقية يا سيدي لا تعمل بغير مايسترو .. بغير قائد .. إنه يخطط لها .. وينسق بينها .. ويوجهها .. ويراقب تنفيذها .. ويصحح**

الأداء .. ثم يبتكر أدوات جديدة للتنفيذ .. وإلا فلن يكون هناك تقدم في العمل .. وتكتمل الصورة بإختيار عدداً من المندوبين الذين نقوم بتدريبهم لكي ينفذوا سياساتنا التي نخطط لها بدقة .. وبنجاحهم في ذلك .. تنجح سياساتنا .. وتتحقق أهداف الشركة بإذن الله ..

- **هل يمكن الإعتماد .. في البداية .. علي مدير واحد للفرعين ؟! .. يقوم بالعمل تحت إشرافك مباشرة ..**
- **يمكن ذلك يا سيدي في البداية فقط .. ثم مع التوسع في العمل علينا الفصل بينهما .. للحصول علي نتائج أفضل ..**
- **حسنا .. وهل يمكن .. في البداية أيضا .. أن يكون هو نفسه مديرالمبيعات ؟!.. خاصة أنه سوف يكون كفء ..**
- **حتي هذا ممكن يا سيدي .. حيث سوف أقف أنا بجانبه أسانده .. حتي يتطلب التوسع في العمل مديرا متفرغا للمبيعات .. فتكون ظروف العمل هي التي فرضت وجوده ..**
- **أرجو أن تنتظري في الإستقبال يا أسماء ..**
- **أشكر لكم يا سيدي إتاحة هذه الفرصة ..**

وكان قد استغرق في لقاءه مع أسماء .. وركز في الحوار معها لدرجة أنسته فنجان القهوة الذي يقبع أمامه .. في انتظار رشفاته! .. حتي أنه لم يعد ساخنا ..

وطلب عفاف ..

- **عفاف .. أريد فنجان قهوة أخر .. ثم أدخلي الطالب التالي ..**

ودخل شاب .. نحيف .. طويل .. شعره مهذب .. حليق الذقن .. وقد اختار ملابسه باهتمام .. فالتناسق واضح في الألوان .. ويشير حذاؤه اللامع إلي أنه شاب جاد .. مرتب الأفكار .. ملتزم .. كما تشير خطواته إلي ثقة بادية بالنفس ..

- **صباح الخير يا سيدي ..**
- **تفضل ..**

وكانت الأوراق التي قدمها للسيد رئيس مجلس الإدارة تشير إلي أنه يحمل درجة بكالوريوس سياحة وفنادق .. ودبلوم عالي في إدارة الفنادق ..

- **سمير .. هل يمكنك العمل تحت إدارة فتاة ؟!**
- **مؤكد يا سيدي .. فما المانع ؟!.. أقصد ولم لا ؟!.. إذا كانت تستحق أن تكون في هذا المكان .. بل أنه يمكنني أن أتعلم منها .. وأستفيد من خبرتها ..**
- **حسنا ..أرجو الإنتظار في الإستقبال ..**

وطلب عفاف ..

- **نعم يا سيدي ..**
- **هل هناك الكثيرون ؟!..**
- **ثلاثة يا فندم .. هل أدخل أحدهم ؟!**
- **كلا .. أدخلي أسماء .. وسمير .. واطلبي من الباقين أن ينتظروا قليلاً ..**
- **أمرك يا سيدي ..**

ودخلت أسماء .. رافعة الرأس .. تنبعث من عينيها أشعة تفشي بسعادة غامرة امتلأ بها قلب الفتاة التي أحست أنها أصبحت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق حلمها في الحصول على هذه الوظيفة .. أما خطواتها فكانت ثابتة مرحة .. وقد بدا وجهها متألقاً .. ينضح بالبشر والإطمئنان ..

وكان سمير يسير ببطء داخل المكتب .. وقد عقد ساعديه أمام صدره ..

يقولون أن في هذا السلوك ما يعكس الثقة بالنفس ..

وفي هذه المرة .. نهض السيد كمال واستقبلهما .. وجلس أمامهما إلي طاولة الإجتماعات .. فكانت هذه إشارة منه أحباها .. حيث فهما من ذلك أنهما قد تم قبولهما ..

فهذا أول اجتماع إذن !!

وبادرهما ..

- **نرحب بكما على رأس فريق العمل بالشركة ..**

ثم تساءل :

- **متي ترغبا في بداية العمل ؟!**
- **إذا لم يكن هناك مانع .. فلنبدأ منذ اليوم !**

قالت أسماء ذلك .. فلم تستطع أن تخفي حماسها للعمل وسعادتها بالقبول ..

فهل تستطيع أن تؤجل العمل حتى ولو ساعة ؟! .. كلا !

ويبدو أن سمير أحس أنه عليه ان يقول مثل قولها ..

- **يمكنني أن أبدأ منذ اليوم أنا أيضا ..**

ثم أضاف :

- **ونحن نشكر لكم إتاحة هذه الفرصة لنا .. ونعدكم أن نكون عند حسن ظنكم .. وفعلا سوف نعمل بروح الفريق .. وسوف يكون النجاح والتقدم هو هدفنا ..**

قال السيد كمال في جدية وبصوت عميق ..

- **ولكن هناك شيء واحد .. عليكما قبوله ..**

وفي صوت واحد .. قال الإثنان في دهشة .. وقلق ..

- **وما هو يا فندم ؟!**
- **لقد قبلت بكما .. وسوف تبدآن العمل منذ اليوم .. ولكن هل يمانع أحدكما أن أسأل في الشركة التي كان يعمل بها .. عن بعض المعلومات التي تخصني كصاحب عمل ؟!**
- **أبدا يا سيدي .. فلا شيء أخفيه .. ولا سلوكيات منحرفة أخشى أن تعرفها .. أو ما يشين ..**

هكذا كان الرد .. من كليهما ..

- **عفاف .. بسرعة ..**

ودلفت عفاف إلي المكتب ..

- **سيدي ..**
- **عفاف .. لقد تم اختيار الآنسة أسماء في وظيفة مدير عام الشركة .. والسيد سمير سوف يعمل تحت إدارتها .. في وظيفة مديرالمبيعات .. أرشديهما إلي مكاتبهما .. ووجهي إليهما باقي الطالبين .. فسوف تبدأ أسماء منذ الآن في أداء واجبات وظيفتها .. باختيار من تشاء من موظفين ممن**

تحتاج إليهم الشركة .. علي أن تحاول الإستفادة من الطالبين الموجودين اليوم .. إن أمكن ذلك ..

وصمت برهة .. ثم تابع .. قائلا :

- **أما بالنسبة للمندوبين .. وموظفي البيع من الداخل بالتليفون .. أو أي وظائف ترى أسماء أننا بحاجة إليها .. يمكنك مساعدتها في صياغة إعلان مناسب .. دعيني أراه قبل إرساله إلى الجريدة .. ثم تابعي معها .. ودعيها تجري لهم المقابلات بنفسها .. وتختار من تراه مناسباً .. وبالمناسبة .. أخبريها أننا في حاجة إلي مدير إداري .. ومدير مالي ..**

واستدار كمال .. وأرسل بصره بعيدا .. في الأفق .. وسرح بخياله ..

إن الوضع هنا جيد .. و لا بأس به .. والإسكندرية مدينة جميلة .. ولكن .. هل أستطيع أن أعيش هنا وحدي ؟!..وأبي .. وأمي .. واخوتي .. وكل عائلتي .. لقد اشتقت إليهم جميعاً .. كم هو ثمن رهيب هذا الذي أدفعه نتيجة ما حدث ..

لا بد أن أجد طريقة ما للتواصل بأسرتي .. مؤكد هناك طريقة آمنة للتواصل معهم .. ومهما كانت مكلفة .. عليّ ألا أحسب للتكلفة أي حساب .. فسوف يصيبني الجنون إذا ما طال الحال هكذا .. وإذا لم أستطع التواصل معهم ..

ولكن عليّ أن أنجح هنا أولاً ..

غدا أذهب بنفسي وأعرف كل شيء مطلوب معرفته عن الموظفين الجدد .. فلا يجب أن أسلم بصدق حديثهم وأوراقهم .. وإلا كان الخطأ كبير !.. ولا أريد الندم ..

كان الشك من أهم سمات كمال ..

ولذا فقد قرر أن يذهب في صباح اليوم التالي إلي الشركة التي كانت أسماء تعمل بها .. حتي يطمئن إلي أنها لم تخفي عنه شيئا .. بخصوص عملها .. أو سبب ترك عملها لديهم .. وأيضا سمير ..

obeikan.com

الفصل الثالث

حسناء

كان كمال شاب في بداية الثلاثين من عمره .. متوسط الثقافة رغم أنه أنهي تعليمه الجامعي .. لا تشغله كثيرا الأحاديث في السياسة .. أو الدين .. فقط جمع المال..هو ما يشغله ..
كل ما كان يحكم تصرفاته .. هو علاقته بالمال .. والحياة الدنيا .. المرأة الجميلة كانت تحوز إعجابه .. وقد يسعي وراءها ..
كان يهتم كثيراً بهندامه .. والتناسق والتناغم بين كل قطعة يرتديها في أية مناسبة يظهر فيها .. وأنواع العطر التي تفوح منه في أي وقت ..
وكان يبدو وسيما دائما ..
أما ابتسامته فلم تكن لتغيب عن وجهه .. فهو يتعامل مع الجميع من خلال عينين واسعتين سوداوين .. مرحتين .. وابتسامة مجاملة أو متكلفة أو صادقة .. لا يهم .. المهم أن يكون محبوبا من الجميع .. وأن يكون محور الحديث للكثير ممن يحيطون به .. وهو ما جعله كثير العطاء!
إنه لم يكن يساعد أحدا رغبة في ثواب في الحياة الآخرة ! .. بل رغبة في جمع الكثيرين حوله .. والشهرة .. والظهور في ثوب التقوى والورع !

وكان هذا هو مظهره وهو متجها إلي شركة دار السلام للإستثمارات العقارية والسياحية التي كانت أسماء تعمل بها .. الرجل الوسيم ..!

وقال لنفسه عندما وصل إلي مقر هذه الشركة ..

حسنا .. هذا هو العنوان الذي أعطتنيه أسماء ..

وبعد أن دلف إلي داخل المبني كان مهما جدا له أن يعاين مظاهر الأبهة والعظمة في المكان ..

وأومأ برأسه إعجابا وهويحدث نفسه ..

- **رائع ..**

وهم كمال بالدخول إلي المصعد .. وسبقته إليه فتاة ..

وبسرعة .. كان قد رمقها بنظرة فاحصة ..

إنها لا تتعدي العشرين إلي الثانية والعشرين من عمرها ..

يا لهما من عينين ساحرتين .. إن وجهها كله عبارة عن عينين واسعتين رائعتين ..

وأفاق علي صوت رقيق .. ناعم .. يأتي من هاتين الشفتين الجميلتين المبتسمتين .. واللتان تزينان هذا الوجه الملائكي .. المشرق .

- **حضرتك يا باشا لم تضغط علي الزرار الذي ينقلك إلي الطابق المطلوب .. فإلي أي طابق تصعد ؟!**
- **آسف يا آنسة .. إنه الرابع ..**
- **حسنا .. إنه هو الطابق الذي طلبته أنا .. فلا حاجة لك بإعادة الضغط عليه مرة أخرى ..**

- أشكرك يا آنسة ..
- إنك تقصد شركة الإستثمار العقاري إذن !
- وكيف لك أن تعرفي ذلك ؟!
- ببساطة ..لأن الأدوار من الثالث .. إلى الخامس .. هي مقر الشركة !
- آسف لك مرة أخرى ..
- أنت تتأسف كثيرا .. علي أي حال .. هل أنت هنا من أجل نظام التملك بالمشاركة .. أم ترغب في شراء شقة في أحد الأبراج المعلن عنها ؟!
- لقد وصلنا ..

وفتح باب المصعد ..

وخرج من المصعد ..إلا أنها أوقفته .. وارتسمت على شفتيها ابتسامة كادت تفقده رشده .. وهي تقول :

- لم تجبني .. حتى أوجهك إلى المكان الذي تقصده ..
- لا هذا ولا ذاك يا سيدتي .. إنني راغب في لقاء السيد زياد .. صاحب الشركة ..
- حسنا .. عليك إذن أن تتبعني !!..

وفي خطوات رشيقة سارت .. وسار خلفها مبتسما .. وقد راحت عيناه صعودا وهبوطا .. تفحص تفاصيل كل مناطق الجمال في جسد الفتاة .. وهو يحدث نفسه المريضة ..

- ما أجملك أيتها الفتاة .. وما أجمل هذا الفستان .. لقد أبدع من صور !..

وطرقت بأصابعها طرقات رشيقة مرحة على باب علقت عليه لافتة صغيرة أنيقة كتب عليها : " رئيس مجلس الإدارة " .. ثم دخلت قبل أن يأذن لها بالدخول .. وفي طرف الغرفة المقابل كان مكتب كبير قد اهتم جدا من صنعه بأن يظهر كل مظاهر الأبهة في كل قطعة منه .. وأيضا الكرسي الذي أخذ مكانه خلف المكتب ..

كل شيء يوحي بالثراء والعظمة ..

وعلى الكرسي جلس رجل في الستينات من عمره .. وقد تستطيع أن ترى فيه الوقار دون جهد منك ..

وأقبلت الفتاة على الرجل وقبلته في خده .. قائلة :

- هناك من يرغب في لقائك يا أبي العزيز .. ثم استدارت .. وهي تشير بحركة من رأسها إلى الضيف ..

وفي نبرة ترحيب وتأهيل .. نهض السيد زياد .. وتقدم صوب الضيف خطوة .. مادا يده للمصافحة ..

- أهلا بك يا سيدي ..
- أشكر لكم هذا الكرم .. الذي يأسر القلوب ..
- تفضل ..

وقال كمال وهو يجلس .. موجها حديثه إلى السيد زياد .. ولكنه ينظر في إعجاب شديد للفتاة الحسناء التي أسرت مشاعره ..

- إن الآنسة ابنتكم إذن يا سيدي ..
- أرى أنكما قد تقابلتما ..

- **في صدفة سعيدة يا سيدي .. في المصعد .. وهي من أرشدني إلى مكتبك ..**
- **حسناء .. من فضلك أطلبي من السكرتيرة أن تأتي لتعرف من السيد ماذا يشرب .. وتحضر لي قهوتي .. ولتحضر لك ما تشائين ..**
- **أشكر لطفك يا سيدي .. وأرجو ألا أكون مزعجا في طلبي .. وأخرج من سترته كارت تعريف .. منسق .. بديع .. كتب عليه بخط رائع .. " شركة الإسكندرية للاستثمار العقاري والسياحي "**

رئيس مجلس الإدارة ..

كمال الشرقاوي ..

فتناول السيد زياد الكارت من الضيف .. وقرأه باهتمام .. والإبتسامة لم تفارق شفتيه .. والبريق اللامع المرحب بالضيف يشع من عينيه .. وقال مداعبا .. ولا زال ينظر إلى الضيف ..

- **إنك تنافسنا إذن .. تفضل .. سل ما شئت ..**
- **عفوا يا سيدي .. إنكم تمتلكون السوق والخبرة .. أما أنا فأمتلك الرغبة في البداية .. والأمل في النجاح ..**
- **نأمل لكم التوفيق إن شاء الله .. ولن نأل جهدا لمساعدتكم .. فماذا كنت ترغب في معرفته.. وكيف نساعدك ؟!**
- **أسماء .. التي كانت تعمل لديكم ..**
- **!!!!!!!!!..**

ونظر إليه السيد زياد متسائلا .. بعينيه ..

- **أرجو أن تفيدني ببعض المعلومات عنها .. كأن يكون لها أي سلوكيات خارجة .. أو ما قد يشوب أمانتها .. فقد التحقت بالعمل لدى شركتنا .. أو تكاد ..**

وقد يكون لديكم ما تودون تحذيري منه بهذه الخصوص..

- **آه .. لا .. لا .. إنها فتاة مجتهدة ولا غبار عليها .. وسوف تدفع عملكم إلي الأمام .. إذا أعطيت الفرصة .. والمساحة الزمنية الكافية .. فالخبرة التي لديها تؤهلها لأن تفعل ذلك ..**
- **ألست غاضبا منها بسبب ترك العمل لديكم .. والبحث عن فرصة لها في شركة أخرى ؟!**
- **ها أنت قد قلت ياسيدي .. فالكل يبحث عن فرصة أفضل .. فكن مستعدا دائما بتوفير البديل ..**
- **سوف يكون هذا أول درس لي أتعلمه منكم .. في عملي الجديد .. وأرجو أن يكون هناك الكثير من الدروس !**

وضحك كمال .. كما ضحك السيد زياد .. أما حسناء فقد كانت مشغولة باستقبال المشروبات .. وهمت لتقديمها بنفسها لوالدها .. وللضيف ..

أما كمال فكان يشرب قهوته .. وآلية الشرب مع الفنجان .. وفكره مع السيد زياد .. وقلبه مع حسناء .. أما عيناه فقد تراوحت في حيرة مع الثلاثة .. لا تعرف أين تستقر!!

وبعد أن فرغ كمال من تناول قهوته .. هم بالوقوف لكي ينصرف .. ونظر مبتسما للسيد زياد .. وقال :

- لا أعتقد أنني سوف أغادر دون تحديد موعدا لشرب القهوة .. والتعارف أكثر .. فإن معرفة أسرة مثلكم لهو شرف كبير لي .. فأرجو أن تمنحوني هذا الشرف !

ومع إيمائة بسيطة من السيد زياد .. وضع كف يده اليمنى علي قلبه .. وهو يقول بتواضع شديد .. وأدب جم :

- بل الشرف لنا يا سيد كمال ..

وبينما لم تفارق الإبتسامة شفتيه .. قال كمال بصوت رشيق :

- إذن فلتحدد موعدا ..

وكان كمال يتمتع بسمة أخرى .. من السمات التي تحدد ملامح شخصيته كإنسان .. خلاف السمة التي تحدثنا عنها سابقا .. ألا وهي الشك ..

فكان يجيد التمثيل .. والكذب ..

ولذلك عندما سألته حسناء بعفوية عما إذا كان يقصد أن يأتي بأسرته للتعارف .. أم سيكون بمفرده كما جاء اليوم ..

فقد استطاع في لمح البصر .. أن يمحو من كل ملامحه.. البشر .. والتفاؤل .. والسعادة .. التي كانت تغمر وجهه طوال فترة وجوده مع حسناء ووالدها .. كل هذه الملامح قد تبدلت في لحظة .. بمسحة من الحزن العميق .. والعيون الذابلة التي أرهقها طول السهاد .. وألم الوحدة !! ..

وقال وهو يتنهد ويقف عند مخارج الكلمات .. ويبطيء حتي تكاد الكلمات تقف في حنجرته .. وينخفض صوته .. ويتحول رتم الكلمات إلي رتم بطيء .. متقطع ..

- أنا آسف يا أنسة حسناء .. فأنا أعيش وحيدا .. لا أسرة لي بعد الحادث الذي وقع لأسرتي .. والدي .. ووالدتي .. وأختي .. لقد كان حادث سيارة مريع .. فقدتُ معه كل أسرتي ..

وقد تأثر السيد زياد جدا لهذه القصة المأساوية .. وأجلسه مرة أخرى .. حتي يهدأ من مشاعر الحزن التي أعادته اليها حسناء عندما جعلته يتذكر هذه الحادثة الأليمة !! ..

أما حسناء .. فقد آلمها أن تكون هي التي أعادت إليه - دون أن تدري - ذكريات حزينة جعلته يفقد توازنه .. حتى أن عينيه اغرورقتا بالدموع !!..

فتوجهت اليه .. وقد ارتسمت علي وجهها كل كلمات الأسف والاعتذار .. وضاق اتساع عينيها .. واحمرت وجنتاها .. قالت:

- إنني جد آسفة يا سيد كمال .. لم أكن أود أن تغرق هكذا في بحر من آلام الماضي .. وذكريات الأحزان ..

فقال .. وكأنه يهمس حزنا .. وقد شعر أنه استطاع أن يلمس قلبها ..

- لا عليك يا آنسه حسناء .. فقد اعتدت هذه الآلام .. والوحدة.. فلا أكاد أنام يوما .. دون السباحة في بحور هذه الذكريات.. الحمد لله ..

ومد يده على عينه .. وكأنما يمسح دمعة تسللت منها حزنا وألما .. وقال متسائلا :

- اتفقنا يا سيدي ؟!

ولم يكن أمام السيد زياد .. أمام هذا المشهد الدرامي .. إلا أن يقول .. حتي دون تفكير .. نعم .. نعم .. اتفقنا .. و أعتقد أن حسناء لا تمانع في مرافقتي .. أليس كذلك يا حسناء ؟!..

- **لا .. لا .. لا مانع عندي يا أبي .. فقد أعوضه ما أحدثته له اليوم من ألم ..**

ياللمخادع ..

من الخارج دموع وأحزان .. ومن الداخل .. قلب يرقص بين ضلوعه !! .. فقد استطاع خداعهما ..

وحدث نفسه اللئيمة ..

لا أسئلة شخصية بعد اليوم .. فلقد أوهمتهما أنني مقطوع من شجرة .. لا أب .. لا أم .. لا أخوات .. حتي لا أقارب.. فلأتقدم طالبا يد حسناء .. دون أي ازعاج ..

ولكن ياترى.. هل هي مخطوبة ؟! .. هل هي مرتبطة ؟! .. يا رب لأ..لا هذا .. ولا ذاك .. يا رب ..!!

وكان هاجس ارتباطها يؤرقه كثيرا .. وخوفه من الرفض يسهده .. ويجعل النوم يجافي عينيه !

ولبّى السيد زياد الدعوة .. ورافقته حسناء ..

فقد كانت حسناء متعلقة جدا بوالدها .. وكانت هي الفتاة المدللة .. وقد أحبها والدها كثيرا .. ومنحها مساحة كبيرة من ثقته .. وبالتالي من الحرية .. التي حافظت عليها جيدا ولم تجعل والدها يوما يندم على ذلك .. أو يحاول أن يحجمها .. بل كان راضيا دائما على تصرفاتها .. سعيدا بها ..

واختار كمال مطعم من أفضل مطاعم الإسكندرية .. وأشهرها .. وأكثرها فخامة ..

وجاء بحلته الجديدة الأنيقة التي اشتراها خصيصا للظهور بها اليوم .. مع ربطة العنق والقميص .. كان طاقما راقيا اشتراه من أرقي الماركات .. وصفف شعره و حلق ذقنه .. وسكب علي ملابسه وعلى وجهه هذا العطر الذي يمكن تمييز رائحته من مسافة بعيدة .. ويدوم لساعات وساعات ..

كان يرغب أن يبدو كما اعتاد دائما .. الرجل الوسيم ..

ولما كان كل شيء انما يخضع للترتيبات .. والخطط .. فقد حدث نفسه .. وهو شارد الذهن ..

- **فلتنطوي هذه الدعوة على مظهر جيد من مظاهر الأبهة والثراء .. حتي يكون .. الأب .. والإبنة .. انطباعا رائعا .. يستمرمعهما لباقي الأيام .. وسوف يساعد هذا كثيرا في جذب انتباة حسناء ..**

وفعلا كان المكان فاخرا .. والطعام رائعا ..

إلا أن حسناء لم تكن الفتاة التي تعطي مشاعرها لهذه المظاهر السطحية ..

كما أنها لم يكن ينقصها تناول الطعام في مثل هذا المكان ..

ولم يكن ليبهرها هذا العطر ..

ولم تكن حتي تلتفت إلى مثل هذه السيارة الفارهة ..

لقد اعتادت أن تزن الأمور بموضوعية .. بعيدا عن القشور..

ولم يكن كمال قد خبر طباعها بعد .. فتعامل مع هذا الموقف

كما يتعامل مع أية فتاة عادية ..

إلا حسناء ! ..

واحتار .. كيف يصنع ؟! .. وكان دائم الشرود .. دائم الحيرة وكثيراً ما كان يحدث نفسه :

يا لحيرة قلبي .. فهل أستطيع أن أجعل هذه الحسناء تشعر بي .. وتعرف كم أهيم بها .. هل أستطيع أن أشعرها بهذا الحب المبرح الذي سيطر على قلبي .. وكل جوارحي !! ..

من أول نظرة ؟! ..

وعائلتها .. هناك عائلتها .. ما هي حساباتهم في مسائل زواج بناتهم ؟ ..

إنها عائلة أرستقراطية .. ومن الجائز أنهم يضعون كشفا كاملا بأسماء من يرشحون إبنتهم للزواج منهم .. وبالطبع .. لن أكون واحدا منهم ..

إن هذا من شأنه أن أضاعف من محاولات الحصول على قلب هذه الحسناء .. وبأية ثمن !! .. وهو ما يقوي من فرصة تأثيرها عليهم للموافقة .. و من الواضح أن والدها لا يرفض لها طلبا ..

فإذا رفضت هي ! ..

وإذا رفضوا ؟! ..

سيدمرون برفضهم سعادتي .. سيحطمون قلبي .. سيسحقون روحي ..

إنني لا أستطيع أن أتخيل ذلك ..

سيردونني خائبا .. خاسئا ..

ويلاه ! .. ماذا أنا صانع لو رفضوا طلبي ؟! ..

وحاول طرد هذه الأفكار من رأسه ..

وقرر أن يتقدم من أبويها فيطلب يدها .. فمن يعلم ؟ .. قد يكرمان وفادته .. ويكذبان مخاوفه .. ويبددان قلقه ..

ألا ليتهما يفعلان .. فيحققان سعادته .. ويحييان روحه وقلبه .. ويمنحانه الحياة ..

وهكذا قرر أن يحسم أمره ..

وأخبرهم أنه يرغب في زيارتهم لمسألة شخصية .. وحددوا الموعد المناسب للزيارة .. ورحبوا كثيرا باستقباله ..

وقبل الموعد المحدد بساعة .. استقل سيارته الفارهة ..

واتجه إلي بيت حبيبة روحه .. التي أذهلته بحسنها ..

وذكائها .. وفطنتها .. وخفة ظلها ورقتها ..

وتساءل .. في حب .. وإعجاب .. بينه وبين نفسه ..

- **يا للحسناء الرائعة .. كيف .. كيف يجتمع في بنت واحدة كل ذلك الحسن في الأخلاق والجمال والفكر .. والرقة .. والحنان والإنتماء إلى مثل هذه العائلة العريقة !**

وأخذ يمنّي نفسه ..

يارب يوافقوا .. يا رب لا تجعلهم يرفضون طلبي .. فيهلك قلبي .. وتنسحق روحي .. وتتبدد كل أمالي في السعادة .. والهناء ..

يا إلهي ..

وأفاق .. قائلا :

- **ها قد وصلت ..**

وترجل عامدا من سيارته في مكان بعيد قليلا من البيت .. حتي يسير على قدميه بعض الوقت لكي يمنح أنفاسه الفرصة في الإنتظام ! .. ويمنح قلبه الفرصة في الخفقان الطبيعي .. ويعيد ترتيب أفكاره في سكينة .. ويستقر صدره في مكانه .. بدلا من هذا الصعود والهبوط .. الذي يعكس اضطرابا واضحا في كل شيء .. وتعود السكينة إلى نفسه ..

وكان يشعر أنه يسير خطوة للأمام .. وخطوة للخلف .. ثم يسير بخطوات بطيئة مترددة .. ونفس هائجة.. مائجة .. متوجسة ..

- **ها هو الباب .. إنني أقترب منه ..**

ووقف جامدا في مكانه .. وجعل يبلع ريقه في حيرة وارتباك .. وقد انقبض انقباض اليائسين .. وحدث نفسه وهو يجول ببصره حوله لا يلوي إلى شيء ..

- **ماذا أفعل ؟! .. كم مريع هذا الموقف الذي يستوعبني .. وكم مرعب هذا الشعور المدمر ..**

ماذا دهاني ..؟! .. فهل أعود أدراجي ؟! .. إنني أود لو سلمت من هذا القلق الشديد الذي طفق يملأ صدري .. وأجنب قلبي هذا الخوف .. وأجنب روحي هذا الذعر !! ..

ولكنه ـ وعلى الرغم من هذا الخوف و الذعر ـ مشي متجها إلى بيت حسناء .. حتى لا يهدم بقلقه وخوفه وتردده .. ما

يود أن يقدم عمره مقابل حصوله عليه وتحقيقه .. ألا وهو قلب حسناء .. ! وحتى لا يلوم في المستقبل نفسه التي أضاعت بترددها ما يتمناه .. وما تتمناه روحه وقلبه .. ولن يجدي حينئذ التحرق على نار الحزن والندامة .. ولن ينفعه خوفه وقلقه ..

ولكن .. من يعلم ؟!

قد لا يخيب مسعاه ! .. ويتجنب مرارة الخيبة .. من يعلم ؟!

وتساءل .. بينه وبين نفسه .. يحدثها وكأنه قد مس ..

- **أين كمال الذي يمشي في الأرض زهوا وعجبا ! .. أين رأسه الشامخ إلى أعلى في خيلاء ؟! ..**

ثم إبتسم إبتسامة بلهاء .. وكأنه كان يحارب نفسه .. لاستعادة ثقته في نفسه .. وقوة أعصابه .. التي طالما تباهى بها ..

ووقف يحاول أن يستجمع كل قواه .. التي شعر أنها قد خارت .. وذابت في هذا الحب الغريب .. من أول نظرة !

- **ها هو الباب ..**

واندفع فجأة ..

وكأنه يغالب تردده ! ..

ورن جرس الباب ..

وأصلح من هندامه .. ورفع رأسه عاليا .. ومرر يديه على شعره ليثبته ويعيد ما لعب به الهواء .. ومسح وجهه بكفيه ..

ومسح تحت عينيه التعرق الذي أحدثه اضطراب أفكاره ..

وخوفه .. وقلقه .. وبدأ يقنع نفسه بأنه في أحسن حال ..!

وفُتِحَ الباب ..

ودلف إلى داخل البيت ..

كانت خطاه ثابتة .. وابتسامة لا تعني شيئا قد ارتسمت على شفتيه ..

فهو لم يقابل أحدا بعد !

وترامى إلى مسامعه صوت موسيقى تنبعث من الداخل ..

تبين له فيما بعد أنه صوت حسناء جاء مرحباً به !!

- **أهلا بك يا سيد كمال .. تفضل ..**

وكاد يعود أدراجه إلى الخلف!!..إلا أنه رآها قادمة نحوه ..

في خطا رشيقة .. وكأنها تطير في الهواء .. ولا تمس الأرض بقدميها ..

أو كأنها نسمة إنما تداعب وجهه .. في حلم جميل .. من ليلة رائعة ..

ورأي ابتسامتها الساحرة .. فمادت الأرضُ تحت قدميه ..

وكاد يتهاوى ..

وأفاق على سحر صوتها العذب .. وكأنه الهمس .. الرقيق الحالم ..

هل يمكن أن يحدث هذا ؟

هل كان يمكن لأي فتاة أن تفعل ما فعلته هذه الفتاة ؟

بالطبع لا!..

فليس هناك إلا حسناء واحدة !

- **تفضل يا سيدي .. إن والدي ينتظرك .. ونحن جد سعداء بتشريفك لنا .. ومسرورون بمجيئك ..**

قالت حسناء ذلك .. وهي تمد له يدها الرقيقة بالمصافحة .. وقد أشرق وجهها بابتسامة عريضة .. زادته إشراقاً .. وقد إمتدت يدها الأخرى في رشاقة .. لترفع عن عينيها خصلة ناعمة من شعرها المتطاير .. يداعبه الهواء .. في مرح ..

- **إنه لشرف لي يا حسناء..**

ثم صمت فجأة .. ونظر حوله حتي يطمئن إلي عدم وجود أحد قد يسمعه ..

ووقف مرة أخرى يصلح من نفسه .. و يصلح ربطة العنق .. إنه لا يعرف ما جعله يخرج عن الخطة التي كان قد أعدها .. والتي كانت تبدأ بالحديث إلى السيد زياد ..

واستعاد رباطة جأشه .. وقال ..

- **حسناء .. لقد أتيت اليوم .. إنما لكي أسألك سؤالا واحدا .. فيه حياتي .. وفيه فنائي !**

ولكنه ما بدأ حديثه .. حتي طاوعه لسانه فانطلق .. واستتلا بصوت إمتلأ بكل الحب الذي إستقر في قلبه .. منذ أن وقعت عيناه على هذه الفتاة .. وكأنما قد حُلّت عقدة من لسانه :

- **لقد أتيت اليوم فقط لكي أسألك رأيك في شخصي ..! ..**

وغضت حسناء من طرفها .. واختلجت أهدابها في حيرة وخجل .. ولم تجد ما ترد به من كلمات .. فكان الصمت أبلغ ..

وأردف .. وقد بدا لسانه حر طليق ..

- **أجل .. أود أن أسألك .. ماذا لو تقدمت إليك بطلبك للزواج .. فهل تقبلين بي زوجا لك ؟! .. هل توافقين ؟! .. وأسأل الله ألا تكوني مرتبطة بأي شكل من الأشكال ..!!**

وكست الحمرة وجهها خجلا .. ودهشت من هذه المفاجأة التي لم يكن على كمال أن يوقعها فيها ..

ونظرت اليه لا تلوي إلى شيء .. وصمتت وكأنما لا تعرف ماذا عليها أن تقول !!..

وكانت نظراتها سهام استقرت في قلبه ..

ويحي !! إنها تردني خائبا .. إني أرى في نظراتها الرفض القاتل ..

- **ماذا يا حسناء ؟! .. هل قلتُ ما يسيئك ؟! ..**

ثم أردف متسائلا .. في كلمات مرتعشة ..

- **أم هل تراكِ ترديني بخفى حنين ؟! .. مرفوضا .. متألما .. إني أنتظر منك الإجابة .. فهل تقبلين .. فتطيب نفسي وأغتبط .. أم ترديني خائبا يتنازعني الشقاء والفشل ؟!**

وأخيرا .. جاءت كلماتها .. فكانت جناحين .. انتزعاه من ذعره .. وحلقا به في سماء الأمل .. وقفز قلبه مرفرفا من بين ضلوعه .. عندما قالت مبتسمة .. تلك الإبتسامة التي يتيه بها حبا ..

- **ألا تبالغ كثيراً في أمور عواطفك يا سيد كمال ؟**

- صدقيني يا حسناء إذا قلت لك أنني غير قادر على وصف ما أشعر به تجاهك .. بل إن الواقع أكثر بكثير مما يبدو لك .. ومما أقول .. أو أصف .. ولا أبالغ في شيء ..

وتوقف برهة .. مرت ثقيلة ..

ثم قال مترددا :

- وأرجو ألا أكون قد إقتحمت عليك حياتك بهذا السؤال .. وأخشى أن أكون– دون أن أدري .. ودون أن أقصد – قد تسببتُ في إحراجك ..
- كلا يا سيد كمال .. إنها المفاجأة .. ولكن .. ألا ترى أنك متسرعا ؟! .. لقد مضى على تعارفنا وقت ليس بالطويل .. إنني بالكاد أعرفك .. وأنت .. أنت لاتكاد تعرف عني شيئا !!

وتهلل وجهه .. وانفرجت أساريره ..

- إنك لا ترفضين إذن ..
- كما أنني لم أقبل بعد !! .. وكل ما أطلبه منك هو الفرصة .. الفرصة لك لتعرفني أكثر .. وتعلم عني ما لم يسمح الوقت القليل الذي مضى بأن تعلم عنه شيئا ..!! .. دعني أقرر مع الوقت .. ولك أيضاً أن تأخذ فرصتك لكي تقرر القرار الصواب .. فالزواج إرتباط لا يجب أن يتم إتخاذ قراراً بشأنه في عجلة ودون دراسة متأنية ..
- هذا يكفيني .. هذا يسعدني .. فلتأخذي وقتك .. ولكن .. لتعلمي يا حسناء منذ الآن .. أنني لن أنام .. ولن يهنأ لي بال

.. حتي تردي لي روحي .. وتعيدي لي فؤادي .. ببشرى موافقتك ..! ولسوف توافقين إن شاء الله ..

وصمت ثواني معدودات .. ونظر في عينيها .. وقال مبتسما:

- إن لك وجها رائعا تسهل قراءة تعابيره !

ومرة أخري أدارت وجهها بعيدا عن وجهه .. ووجهت نظراتها بعيدا عن عينيه .. وقد احمرت وجنتاها خجلا .. كما أذهلتها المفاجأة ..

وقالت .. وكأنها تريد له أن يفيق ..

- ألا تري أنك تبالغ كثيراً يا سيد كمال؟! .. إنني لا زلتُ أصرُّ على أن فيما تقول مبالغة كبيرة .. وأعمق من أن أفهمها !

قال – وكأنما يدافع عن نفسه – وقد إمتلأت عيناه حباً .. يشع منهما .. فلا يستطيع من يراهما إلا أن يعلم مدى هذا الحب .. وعمقه ..

- أبالغ ؟! .. وهل قلتُ إلا بعض ما أرغب في البوح لك به ؟! ..

هزت الفتاة رأسها في دهشة .. وعلت وجهها إبتسامة الحيرة .. والإستغراب .. وقالت :

- فلندخل إذن .. لعلنا قد قضينا هنا وقتا طال كثيرا .. ربما يتساءل أبي عن السبب ..

قال متسائلا :

- فهل أحدثه في الأمر إذن ؟! . .

قالت .. وكأنها غير معنية :

- **إذا كانت هذه هي رغبتك .. فافعل .. ولكن إذا سألني بابا على رأيي في هذا الأمر .. فسوف أطلب الوقت الكافي لدراسة الفكرة .. لأنه علينا أن نتريث حتي يعرف كلانا الآخر جيدا ..**
- **أشكرك يا حسناء .. أشكرك من كل قلبي على إتاحة هذه الفرصة لي .. وأعدك يا حسناء ألا تندمي .. ولتأخذي كل الوقت الذي ترغبين فيه .. وليهنأ قلبي من عينيك بكل السعادة .. سوف أصبر .. حتي يعيل الصبر من صبري !**

كان الحياء والخجل سمة بارزة في حسناء .. فهي لم تعتد مثل هذا التركيزعلى الغزل في مواجهتها .. ولم تكن تدري فعلا كيف تواجهه .. وكيف تتصرف .. ولا ماذا تقول ..

ولم تكن حسناء تخفي عن والدتها شيئا .. حيث كانت الأخيرة تعاملها كما الصديقات .. وبرفق ومودة توجهها إلي الصواب إذا ما أخطأت .. أوإذا ما فعلت شيئا من شأنه أن يجعلها محط اللوم أو العتاب من قبل الأخرين .. أو ما من شأنه أن يسيء إليها ..

قالت لها بابتسامتها المشرقة التي كانت تعني كل الحنان والحب لحسناء .. بينما يداها تداعبان شعر إبنتها الوحيدة .. التي استقرت رأسها على حجرها :

- **لقد فعلتي خيرا يا حسناء عندما طلبتي فرصة كافية حتى يتعرف أحدكما على الأخر .. طباعه .. فكره .. سلوكياته وردود أفعاله في المواقف المختلفة .. ماذا يحب .. ماذا يكره .. ثقافته .. مدى تدينه وقربه إلى الله..**

كانت والدتها إمرأة دون الخمسين من عمرها .. أنجبت ثلاثة أبناء .. دفنت منهم إثنين ..

وكانت طويلة القامة .. ذي رقبة طويلة .. ذات بشرة بيضاء كريمية اللون .. نحيفة .. تبدو دائما مشدودة إلي الوراء قليلا .. يمتد شعرها الكثيف الأشقر في شبكة وراء رأسها .. أما خداها فكانا جميلان .. بينما تزين غمازتيها وجهها المتألق .. وربما كان هذا هو السبب في سحر ابتسامتها ..

أما حياتها ومعاملاتها مع الآخرين .. فقد أكسبت وجهها نظرة الفخر والإعتزاز التي تخلو من الغطرسة .. بينما صوتها الناعم كان يعكس هدوءها .. ورقة طباعها .. وعدم اندفاعها بالصراخ في وجه أحد .. مهما كان السبب ..

قالت حسناء وهي تطبع قبلة حانية شاكرة على خد أمها :

- **حسنا يا أمي .. هذا ما سوف أفعله .. فأنا ليس لي رغبة في قبوله .. ولا رغبة في رفضه .. وسوف تكون الفرصة لي .. وله .. وسوف أجتهد في دراسة شخصيته بتجرد .. وكذلك أفكاره ..**

ومرت الأيام ..

و كان له ما أراد !!

وتعددت اللقاءات ..

وأعجب السيد زياد بهذا الإنسان الذي يفيض تواضعا !! .. رغم الثروة التي هبطت عليه من السماء .. فهو الوريث الوحيد لأسرته التي قضت في حادث السيارة الأليم !! ..

وأعجبت حسناء بهذا الشاب مرهف الحس .. الرومانسي .. والذي أغرقها بالهدايا الثمينة .. رغم أنها ليست في حاجة إليها .. ويضمها بعينيه تحت جفونه .. ويضعها في قلبه .. ويملأ أذنيها بالعسل من الكلمات الرقيقة المعجبة .. وكلمات الغزل التي تذيب القلوب ..

ولكن هل يمكن أن تنجح هذه المحاولات في التقرب من السيد زياد بما يكفي لتزويجه من إبنته ؟! ..

إن الإجابه عند كمال !!

فعليه هو فقط أن يفعل المستحيل !!

ولم تمض عدة أشهر .. حتي كانت حسناء زوجته !!

والحق .. أنه أمضى معها أسعد سنوات عمره ..

يتمرغ في حنانها .. ورقتها .. ويسعد بجمالها .. وأنس جوارها .. وأنوثتها .. وأهم من كل ذلك .. إخلاصها ..

أما حسناء .. فكانت دائما ما تبدي لأسرتها سعادتها بزواجها من كمال .. وتتحدث عن حبه لها .. وعطفه عليها .. وكرمه .. فهو لا يرفض لها طلبا .. ولا يبخل عليها بأثمن الهدايا .. إنها أهله ..

والإسكندرية وطنه !!..

إلي أن جاء اليوم .. الذي قرر فيه المطارَد المغادرة .. والبحث عن جُحر جديد !! .. دون أن يُعلم أحد شيئا .. عن الفأر الهارب!! .. ولا عن الجحر الجديد !! ..

فكانت القاهرة هي الوطن البديل ..

وأفاق كمال من شروده ..

وتذكر إعجاب حسناء البالغ بهذه الفيلا .. لحظة دخولها لأول مرة .. وتذكرها عندما صاحت :

- **كمال !!**
- **!!!!!!**
- **ياللروعة .. هل هذه هي المفاجأة ؟! .. ولكنها ستكون باهظة الثمن !!**
- **يا حبيبتي .. إنها لا تساوي عندي ثمن هذه السعادة التي تغمرك .. وهذا البريق اللامع الذي يتلألأ في هاتين العينين الخضراوتين .. الرائعتين .. وكأنهما نجمتان تتلألأن في كبد السماء ..**
- **هل يمكنني أن أقبّلك يا حبيبي؟!**
- **في غرفتنا يا حبيبتي .. سيكون لديك الوقت الكافي!!**

ووجدت حسناء في حياتها الجديدة .. في القاهرة .. ما أضاف إلي حياتها من تشويق .. وإثارة .. فكانت تنتقل بين حياة أسرتها في الإسكندرية .. وبين القاهرة .. كلما أرادت أن تكسر الملل .. وتغير من روتين الحياة ..

وكانت قد انضمت إلي بعض الجمعيات الخيرية .. فهي تعشق الأعمال الخيرية .. والتصدق .. وقضاء الوقت في ملاجيء الأيتام .. حاملة الهدايا لهم .. واللعب للصغار منهم ..

وهكذا مرت الشهور ..

وشعرت حسناء بعلامات الولادة ..

وكان مولودها الأول ..

لقد أصبحت حسناء أما ..

وكان حسن قد ورث عن أمه جمال الملامح .. واتساع العينين .. الشعر الناعم ..

فكان صبيا جميلا ..

أحبه أبوه حبا جما .. حتي بعد أن أصبح لحسن أختا ..

وكانت فرح أيضا طفلة جميلة .. ورثت عن أمها كل ملامح الجمال ..

وما أن أصبح الطفل فتا فتيا .. حتي كان علي أبيه أن يعهد إليه بالمسئولية .. ويشركه معه في أعماله التي سوف تؤول إليه بعد والده .. ويطلعه وحده على سر أسراره ..

ولذا فقد جلس إليه يوما وقال :

- **ما رأيك يا حسن في نزهة إلى مكان بعيد .. نتحدث سويا.. دون أن يقاطعنا فيه أحد .. دون أن يسمع أحد ما قد نتفق عليه .. وهو هام .. وهو لك وحدك .. ولا أريد أن يعلم به أحد .. أي أحد ..**
- **حتي أمي يا أبي ؟!..**
- **خاصة أمك يا حسن !! ..**
- **!!!!!!!**
- **نعم .. خاصة أمك .. وأختك .. لا أحد يا حسن ..**
- **تحت أمرك يا أبي .. واضح أنه شيء هام ..**
- **هيا بنا ..**

وأفصح الأب لإبنه عن مكنون صدره .. وعن سر أسراره ..

ورفع له غطاء البئر .. بئر الأسرار .. بئر الماضي ..

وكان الولد إبن أبيه ..

واتخذه ذراعه الأيمن في تجارته المخفية ..

ولم يجعله حسن يندم على أن أولاه هذه الثقة .. غير المحدودة .. بل منحه كل شيء ..

obeikan.com

فصل الرابع

العشوائيات

تناثرت الأحجار في فوضى عارمة .. وتجمع بعضها حول بركة من الماء الآسن الذي اختلط بماء الصرف الصحي .. ولم يبخل عليها السكان من حولها .. بما لديهم من قمامة .. فألقوها بالماء هنا وهناك .. فانتشر العفن .. وانتشرت في الهواء روائحه .. تذكم الأنوف .. وتشمئز منه العيون .. في مشهد منفر كئيب ..

ومن حولها .. وفي كل مكان .. تراكمت أكوام القمامة في مشاهد رهيبة عفنة مقززة .. تقدم وجبات دائمة للكلاب والقطط .. و يزاحمهم في تناول هذه الوجبات الكثير من الجوعى .. أطفال .. أو بالغين .. وشيوخ ..

وما أكثرهم .. الأطفال والشيوخ الجوعى الذين أخذوا يفتشون في أكوام القمامة عن كسرة خبز .. أو حتى عظمة .. لم يصل إليها الكلاب قبلهم ! .. يسدون بها رمقهم .. ويشبعون جوعهم بعد أن ضاقت بهم السبل .. وتقطعت بهم الأسباب ..

فأصبحوا يشاركون الحيوانات والزواحف والقوارض .. يشاركونهم حياتهم .. وأكلهم .. ومسكنهم أيضا ..

يعيشون معهم في تآلف تام ..

وبينهم سعي مشترك على الرزق !!

المكان تفوح منه رائحة الأموات .. أموات تحت الأرض .. وأموات فوق الأرض .. يتمنون أن يأتي دورهم في الإنتقال .. من أعلى .. لأسفل!.. بل يحسدونهم على أن سبقوهم .. إلى أسفل !! ..

شوارع ضيقة .. بل أذقة .. لا تكاد تسمح بمرور سيارة إسعاف .. أو سيارة حريق .. وطبعا ولا سيارة شرطة إذا لزم الأمر في محاولة لمطاردة أحد تجار أو موزعي المخدرات .. أو الخارجين عن القانون ..

البنايات السكنية في حالة تردي تام ..

فهي بيوت هي أقرب إلى العشش منها إلى مساكن تليق بالبشر يقيموا بها معززين مكرمين .. أو حتى مهانين ! ..

أليسوا مهانون لمجرد إقامتهم في هذه العشش وهذا الحي ؟!

عشش من صفيح .. تذروها الرياح مع أول عاصفة لا تترك منها سقف إلا وتقاذفته .. فلا يبقى سطح ..أو شباك .. ولا باب ..

عشش من طين .. مع أول مطر ينهمر سوف تجد أن كل شيء قد ذهب مع الريح! ..

وأحياناً تكون العشش مصنوعة من بعض قطع الأقمشة البالية القذرة الممزقة .. عندما لا تتوافر قطع الصفيح ..

ولا يكون الغرض من هذه العشش المصنوعة من القماش إلا وقايتهم من أشعة الشمس .. وحرارتها التي تلهب الوجوه ..

وربما تقيهم أيضاً أعين المتطفلين ..

وكثيراً ما تتقاذفها الرياح .. فيعيدوا إقامتها وبنائها .. بصبر .. ويأس .. وحسرة ..

بصبر .. لأنهم ليس لديهم غير الصبر بديل ..

ويأس .. لأنهم لا يعلمون أن هناك شيئاً .. إسمه الأمل ..

وحسرة .. على حياتهم الضائعة .. وكرامتهم المهانة .. وعلى بناتهم .. اللاتي تعشن بلا حائط يستر أجسادهن عن أعين من يرغبون في المشاهدة المجانية .. لعورات البنات ..

بعض العشش تتكون من غرفة واحدة .. تكدس بها عائلة كاملة .. أب وأم وأطفال .. أولاد وبنات .. وأحفاد ..

إذا وجد حمام .. فهو حفرة في الأرض !! .. لقضاء الحاجة ..

وغالبا .. يوجد حمام واحد لأكثر من عائلة !!

وأحيانا .. مساكن من خشب .. للأسر المتيسرة ! .. بدون سقف .. وربما بدون باب !

لا مرافق .. لا مياة .. لا كهرباء .. ولا صرف صحي ..

إنها منطقة عشوائيات ..

وإذا ذكرت العشوائيات ذكر الفقر والجهل والمرض..

ذكرت الفوضى .. والمشاهد المقززة .. العفنة ..

غياب كامل للدولة .. وإهمال كامل لحياة هؤلاء البشر .. إلا في مناسبتين .. وهو ما أصبح معروفا للجميع ..

الأولى عندما يتم الإعداد لموازنة الدولة عن السنة المالية التالية .. فتجد الحكومة أن الدعم الذي تقدمه الدولة للسادة النبلاء الجدد .. والذين يطلقون عليهم رجال الأعمال .. هذا الدعم الرهيب لا شك سوف يترتب عليه خلل وعجز في الميزانية .. فكيف يتم علاج هذا الخلل .. وكيف يتم إصلاح العجز في الموازنة .. فهنا تتفتق عبقرية الحكومة .. وتتذكر هؤلاء المعدمين .. في هذه الأحياء المنسية .. فترفع الدعم عنهم .. وتفرض عليهم الضرائب الجديدة ..

وترفع الدعم عن الكهرباء والمحروقات ..

ثم ترفع أسعار السجائر .. وكأنها سلعة إستفزازية .. على من يدخنها أن يدفع الثمن الذي تقرره الحكومة ..

ألا تمس السجائر صميم بنود الإنفاق بالنسبة للعامل المطحون .. الذي لا طموح له في الدنيا .. إلا رغيف خبز .. يغمزه بالملح .. وكوب شاي .. ثم سيجارة ؟ ..

إنهم لا يأبهون إذا كانت السيجارة عند هؤلاء المعدومين أهم من رغيف الخبز ! ..

حتي هذه الحاجة البسيطة الوحيدة للبسطاء والفقراء .. وهي حاجتهم لتدخين سيجارة .. يحاربونهم فيها .. ويرغبون في أن يحرمونهم منها !

فأي مجتمع هذا ؟! ..

أما على المستوى الآخر ..

فلا أحد يستطيع أن يمس النبلاء !!

ولا أحد يستطيع أن يفرض عليهم ضرائب جديدة ..

أما إذا حدث وتجرأت الحكومة .. وقررت فرض ضرائب تصاعدية

على رجال الصناعة والأعمال .. فلا تمضي إلا ساعات معدودة .. تعلن بعدها الحكومة تراجعها عن القرار الخاطيء الذي إتخذته بفرض هذه الضريبة التصاعدية ..

مناسبة أخرى تتذكر فيها الحكومة .. وحتى النبلاء .. هذه الأحياء المهملة .. المنسية ..

ألا وهي حالة اقتراب موعد الإنتخابات البرلمانية .. وتعلن بدء مزاد شراء الأصوات .. والتجارة بحياة هؤلاء البشر الفقراء المعدمين .. ويتم شراء أصواتهم ببضع جنيهات .. وبعض المواد الغذائية .. ولا مانع من إلقاء بعض الوعود الكاذبة !!.. واللعب على آمال هؤلاء

البؤساء .. في غد .. أقل تعاسة .. وأقل إيلاماً .. وأقل قسوة .

هذه هي العشوائيات ..

فوق أحد هذه الأحجار .. إعتاد محمد أن يجلس بعض الوقت .. كل يوم .. فلا مكان آخر يذهب اليه .. ولا نادي يرتاده .. فالإشتراك السنوي لدخول نادي من نوادي أولاد الذوات .. يكفي لإطعام كل

أهل الحي لشهر كامل ! .. أما هنا .. على هذه الحجارة .. فلم تقرر الحكومة بعد .. فرض رسوم للجلوس عليها .. وهو ما جعل محمد يختاره مكانا مجانيا للجلوس عليه .. أحيانا لكي يفكر في أبيه .. الذي توفي بعد صراع مرير مع مرض تليف الكبد .. وهو المرض الشائع في مناطق العشوائيات .. حيث كل شيء ملوث .. حتي مياة الشرب قد اختلطت بمياة الصرف الصحي .. ولا وعي صحي موجود .. ولا وقاية .. ولا إمكانيات للعلاج .. لا شيء هناك .. لا أدوات ولا وسائل ولا أدنى متطلبات الحياة لهؤلاء البشر ..

مات الأب منذ عدة أشهر .. تاركا وراءه زوجته و إبنه محمد .. يصارعان الزمن ..

كان عم عباس .. والد محمد .. يعمل سباكا.. وقد نقشت على وجهه أكبر خريطة من تجاعيد الزمن .. كما انحنى ظهره بما حمله على كتفه من هموم .. إلا أن كل ذلك لم يكن ليقهر ابتسامة الرضى التي لم تكن تفارق وجهه في أحلك الليالي .. وأصعب الأيام ..

كان عم عباس يتألم لمشاكل وآلام الآخرين أكثر مما يتألم لمشاكله .. ودائما ما كان الجميع يتذكرون عم عباس الذي بكى ذات يوم عندما شاهد رجلاً مسناً من أهل الحي .. وقد انحنى جالسا على ركبتيه .. أمام كومة من القمامة .. وأخذ يفرزها .. وينتقي منها كسرات من الخبز .. وينفض عنها الغبار .. ثم يجلس .. لكي يأكلها .. عسى أن تسد جوعه ! .. وتسكت الألم وأهات معدته الخاوية .. الله وحده يعلم .. منذ متى .. هي خاوية !! .. وربما كان ينوي أن "

يحبس " بعقب سيجارة وجده في كومة القمامة !! .. وربما جلس بعدها وهو ينفس دخان السيجارة في الهواء .. وهو ينظر إلي السماء .. سعيدا يغني أغنية " هلت ليالي القمر " لأم كلثوم ! ..

وأقبل عم عباس باكيا على العجوز الجائع .. وانحنى عليه وأحاط كتفي العجوز بكفيه .. وأنهضه .. واصطحبه إلى بيته .. وقدم له ماكان متاحاً من أفضل ما لديه من طعام .. وأحضر له كوب الماء ووضعه بجواره .. وجعله يأكل حتى يكتفي ويشبع ..

ولم يترك العجوز إلا بعد أن جعله يتعهد له بألا يعود مرة أخرى للأكل من القمامة .. بل يذهب إلى بيته .. ويأكل مما رزقهم الله ..

كان عم عباس " حلال المشاكل " .. كما أطلق عليه أهل الحي ..

فلا يرد أحدا يقصده لحل مشكلة ما .. أو له حاجة ..

ويتذكر محمد ومعه أصدقاءه وباقي أهل الحي .. ذات يوم .. عندما زار الحي بعض رجال الدولة .. الذين اصطحبوا معهم عدد ا من الإعلاميين .. وشاركهم في الزيارة المهتمون من الفنانين بإعادة بناء العشوائيات .. وتم استدعاء بعض رجال وشباب أهل الحي .. وخاصة الذين أتيحت لهم فرصة العمل في وظائف مرموقة بعد تخرجهم من الجامعات .. للتعرف على رغبات أهل الحي .. ومشاكلهم !!..

وكأن أكوام القمامة لا تلفت انتباههم .. وكأن المساكن التي بنيت من الصفيح هي مباني سكنية مثالية .. يحسد عليها أهل الحي !!

وكان باديا للجميع أن الهدف هو دعاية وإعلان .. جاءت في توقيت غبي قبيل الإنتخابات !! ..

وكالعادة .. بدأ ت الوعود تنساب بلا حساب من السادة النبلاء ..

سوف نعيد بناء المساكن .. سوف نبني لكم مدارس .. سوف نطور الوحدات الصحية ..

وجاء صوت عم عباس مقاطعا ..

والإنسان ؟!

ولفت ذلك انتباه الجميع !

وتحولت الأنظار إلى عم عباس ..

فعاود السؤال ..

نعم .. الإنسان .. أهل الحي .. لقد جئتم اليوم في زيارة جديدة .. قديمة ..!! .. سبقكم فيها الكثيرون !

نفس الكلام .. نفس الوعود .. نفس الدعاية .. فقط اختلفت الوجوه .. واختلف الزمان .. عشرات السنين .. مضت .. والإنسان هنا في الحي .. لم يتغير ..

لم يحصل على أي من الوعود ..

الفقر .. نفسه ..

المرض .. حدث ولا حرج !

البنايات .. لا تزل من صفيح .. أو خشب .. أوطين .. أكوام القمامة .. ها هي أمام كاميراتكم .. متكدسة .. فماذا ترغبون في سماعه منا عن مشاكلنا ؟! ..

أو ليست مشاكلنا واضحة للعيان ؟! .. فإذا لم تكن واضحة .. فتلك مصيبة !!

وإذا كانت واضحة .. فالمصيبة أعظم !!

وعرف أحد الزائرين عن نفسه .. أنه واحد من الفنانين المهتمين بتطوير الحي وإعادة بناء المساكن .. أما بالنسبة للإنسان .. فإن إحدي الجمعيات الأهلية قد وعدت باعادة تأهيل الشباب الراغبين في العمل في الحرف المختلفة ..

مثل السباكة .. والنجارة .. والحدادة .. وأعمال الكهرباء وخلافه ..

لأن الحكومة ترى أن هذه الحرف الهامة هي عماد التطور والتنمية .. والتقدم الصناعي ..

وأسهب الرجل في أهمية الحرفيين .. واهتمام الدولة بهم .. وأن هناك عجز كبير في أعداد الحرفيين المهرة ..

وعلق أحد أبناء الحي قائلا :

غريب أمركم أيها السادة الذين تطلقون علي أنفسكم النخبة .. تقسمون أنفسكم إلى ثلاثة أقسام ..

القسم الأول يقول للشباب .. أن العمل حق .. العمل شرف ..

أي عمل .. وأيا كان العمل .. الشرط الوحيد هو أن يكون عملا مشروعا .. شريفا .. لا يغضب الله ..

وهذا قول جيد ..

أما القسم الثاني .. فله قول آخر ..

فالسباكة عندهم مهنة وضيعة .. والنجارة مهنة مُهينة .. وجمع القمامة مهنة قذرة .. والكهربائي .. دون المستوى .. والمدرس خوجة . . يعيش ويموت مدرس !..

وهكذا .. قسموا المجتمع إلى طبقات متناحرة يحتقر بعضهم بعضا .. ولكي يرسخوا هذه الأفكار .. ويؤكدوا الفصل بين الناس وتقسيمهم على هذه الأسس العنصرية .. فقد سخروا كل وسائل الدعاية لهذا الغرض .. الذي لا يعرف أحد لصالح من أطلقت هذه الحملات المريبة .. فانظروا إلى كل الأفلام .. التي تنظر إلى العامل باحتقار ..

إذا تقدم شاب لخطبة فتاة .. كيف نزوج إبنتنا لسباك ؟! ..

إنه مدرس .. لا راح و لا جاء .. يعيش و يموت مدرس !

إنه كهربائي .. هل نناسب عامل ؟!

لا اعتبارات لشرف و لا أخلاق ..

جميع دول العالم تحترم العامل .. إلا نحن !!

أما إذا كان الخطيب دكتور أو مهندس .. وقالت البنت أنها لا تحبه!

يقولون لها بكرة تحبيه .. فالحب يأتي بعد الزواج !

وإذا كان يعاملها أسوأ معاملة ..

عليك أن تتحمليه .. إن الجميع يحسدونك عليه !

ألم تسمعي الجيران عندما قالوا .. بسم الله .. ما شاء الله .. اتخطبت لمهندس !

كل المسلسلات في التليفزيون .. مسخرة لترسيخ هذه التفرقة بين طبقات المجتمع ..

ويأتي القسم الثالث .. لكي يؤكد إصابة الدولة بمرض انفصام الشخصية .. والشيزوفرانيا ..

ويحاول أن يوهمنا بأهمية الحرف والحرفيين بالنسبة للدولة..
وبأنهم يسعون لإعادة تأهيلهم .. وتدريبهم .. ورفع كفاءتهم ..!!
وأنهم عصب الصناعة والتنمية الإقتصادية !! ..

فمن نصدق أيها السادة؟! ..

أولسنا كلنا أبناء هذا الوطن ؟!

أولسنا كلنا متساوون في الحقوق والواجبات ؟!

وانفض الجمع .. كما ينفض المولد .. ولا جديد ..

وجلس محمد مغموما .. منقبض القلب .. يسري في جسده احساس سيء لا يدري مصدره .. فهل يأتيه خبرا سيئا ؟ ..

وما الجديد في ذلك ؟! .. فكل أخباره سيئة ..

لم يكن سر انقباضه .. مستقبله المجهول .. فهكذا هو حاله دائما ..

لم يكن وفاة أبوه .. فقد اعتاد أن يتعايش مع ألم فراق والده .. والوضع المادي المتدني الذي أصبح يكتم أنفاسهم ..

كما لم تكن هذه الروائح العفنه التي تفوح من بركة الصرف الصحي .. فقد أصبح ذلك جزءا من حياته ..

نظر محمد الى السماء .. وكانت لحظة الغروب .. وكان قرص الشمس الأحمر يطل على الأرض .. لكي يلهم الشعراء بأجمل أبيات الشعر .. ويهدي أرق المشاعر إلى العشاق ..

كان انقباض محمد يزداد حتى كاد أن يوقف أنفاسه .. ونظر إلى قرص الشمس الأحمر .. ذابل العينين .. ورآه بلون الجراح ..

وكأنه يهمس لنفسه .. ويخص ذاته بالحديث ..

- **فهل ياترى غروبك اليوم أيتها الشمس .. يتزامن مع غروبي .. ياريت .. ياريت .. ياريت .. فما الحياة إلا تعب وشقاء .. وما الأمل إلا سراب !**

وغير بعيد عن هذه الأحجار .. التي يعتلي محمد إحداها .. كانت عشة كريمة .. التي كره أولادها الخمسة فصل الشتاء .. فإن أمطاره تتخلل أخشاب السطح المتداعية فتتسرب القطرات إلى أرض العشة .. فتبلل المرتبة النحيلة كالخرقة

المهترئة .. وتبتل البطانية التي يلتحفون بها.. فينهضون ..
وقد أحالت بضعة قطرات من المطر .. حياتهم عذاب ..
وبيتهم قبرا لا يطاق !!..
فعلى ماذا ينامون ؟! .. وبماذا يتغطون ويقيهم شر البرد؟!
ولا يسع كريمة المسكينة إلا أن تبكي ..
فهي تبكي نهارا .. لعدم قدرتها على رعاية أبناءها ..
والإنفاق عليهم ..
وهي تبكي ليلا .. عندما تتساقط المياة والأمطار عليهم وهم نيام .. فلا تجد ما يقيهم من البرد .. ولا حتي تحميهم من تساقط المياة على رؤوسهم !!..
لقد رآها محمد ذات يوم تغسل في الحلة التي تطهو فيها الطعام فيها! .. والتي تجلب فيها مياة الشرب .. وتحفظ فيها هذا الماء لحين الحاجة للشرب !..
إن هذه الحلة تمثل كل مقتنيات وأدوات البيت .. لجلب الماء.. وحفظه .. والغسيل فيها .. والطهو! ..
لا يعرف محمد لماذا قفزت كريمه وأولادها الخمسة إلى مخيلته ..
وجال بنظره فوجدها قابعة أمام عشتها تبكي ..
وكأن أحدهم قد مات .. أخذ محمد يردد في داخله بلا صوت :

- **لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله ..**

وكأنه يناجي ربه .. بقلب مكسور .. محطم :

- **يا إلهي ! .. لماذا يعاني أهل هذا الحي كل هذه المعاناة !! ..**

لماذا حياتهم جحيم ؟! ..

انهم مساكين .. يتعذبون الليل .. والنهار .. ألا منجاة لهم من كل هذا الرعب الذي أحال أجسادهم إلى أشباح هزيلة .. نحيفة ؟!

ألا مهرب لهم من هذا الحزن الدائم إلا الموت ؟!..

لكم الله .. يا أهل هذا الحي .. لكم الله .

وأفاق محمد من شروده على صوت أحد الجيران الذي ملأ صراخه المكان ..

يا محمد .. يامحمد ..

أفاق محمد .. وكأنه استيقظ من نومه ..

- **في أيه يا علي .. بتصرخ كدا ليه !**
- **الحق أمك يا محمد .**
- **أمي ! .. مالها أمي ياعلي !**

قال محمد ذلك وهو يقفز من فوق الحجر الذي يجلس فوقه .. وكأنه قد أصابه مس..

- **أمي مالها ..**
- **تعالى بس بسرعة أحسن دي عايزاك ..**
- **مش تقول لي فيه أيه ! رعبتني .**
- **تعبانة جدا ..**

وأطلق محمد العنان لساقيه يسابق الريح ..

وتسارعت نبضات قلبه .. وسرت في جسده رجفة ملأته بالخوف والوجل .. وسيطرت آلاف الأفكار السوداء على عقله حتى أنه لم يكن يدري شيئا مما حوله إلا شيء واحد .. هو أن يسرع إلى أمه لكي يطمئن أنها بخير ..

وصل محمد إلى البيت ..

كانت أمه ملقاة على الأرض .. ومن حولها تجمع النسوة الجيران .. والأطفال والأولاد .. وبعض الرجال ..

كان الحزن يخيم علي المكان .. فهي أم محمد التي أحبها الجميع ..

ولم يكن أحد يسمع إلا البكاء ..

إرتمي محمد على أمه ..

- أمي ... أمي .. ماذا بك يا أمي .. لقد كنت بحالة جيدة عندما تركتك منذ ساعتين فقط .. ماذا حدث ..

ورغم ما تقاسيه أم محمد من آلام لا يستطيع جسدها النحيل أن يتحملها إلا أنها حاولت أن تتسامى على جراحها وآلامها ..

فقد أدركت أن ولدها يعتصره الألم و الخوف عليها .. لما صارت عليه حالتها .. فمدت يدها بصعوبة شديدة تجفف من دموعه التي انهمرت كما لم تنهمر من قبل .. إلا في يوم وفاة والده الذي أحبه بكل جوارحه .. وحزن عليه حزنا شديدا ..

وفي محاولة بائسة للتحدث .. قالت أم محمد وهي تستجمع قواها .. مع ابتسامة هي عصارة ألم .. لأم .. لا تريد أن تذهب عن إبنها وهي عابسة .. قالت :

- **هل تعلم يا محمد .. كنا نتحدث معا أنا والجيران .. وجاءت سيرة والدك .. الله يرحمه .. ودمعت عيناي حزنا عليه .. وبكيت لفراقه .. فجاءت عقربة طيبة وقالت : إذا كنتِ حزينة على زوجك المتوفي كل هذا الحزن فدعيني أساعدك وأرسلك إليه بنفسي !! ولدغتني في ظهري من تحت الثياب لدغة أودعت فيها كل سمومها .. وكأنها حريصة على أن تفي بوعدها معي !**
- **لا يا أمي .. إن شاء الله سوف تشفين ..**

قال محمد ذلك وهو يحاول أن يمسح دموعه التي انهالت كالسيل .. ونهض .. وأخذ يجول ببصره من حوله كالتائة .. وأردف قائلا :

- **لقد كنت أتمنى غروبي أنا يا أمي .. وليس غروبك ..**

وقبل أن يحاول أن يذهب بها إلى أي مستشفى أو إلى أي طبيب .. كانت روحها قد فاضت إلى بارئها .. وانهار محمد بين الألم .. والدموع .. والفراق .. والماضي الحزين .. والحاضر الموحش .. والمستقبل المجهول ..

الفصل الخامس

قلعة الكبش

بعد عدة أشهر ..

عرفت الفرحة أخيرا طريقها إلى قلعة الكبش .. الحي العشوائي الذي يقيم فيه محمد .. فمنذ أن فاضت روح أم محمد .. منذ عدة أشهر .. والأحزان تخيم على الحي .. الذي هو أصلا الحي المثالي للأحزان ..

وما حي قلعة الكبش إلا نموذج للكثير من العشوائيات .. التي انتشرت في مصر .. في مناطق كثيرة خرجت عن سيطرة التنظيم والتخطيط للمباني السكنية حتى أصبحت مشكلة يصعب حلها والتعامل معها ..

ويقال أن هذه المناطق تسجل معدلات انجاب ووفيات مرتفعة نظرا لسوء الرعاية الصحية أو قل انعدامها في كثير من المناطق .. ولجوء الأهالي إلى الوصفات الشعبية للعلاج والأعشاب كنوع من أنواع الطب البديل ..

حيث لا يستطيع معظمهم تحمل تكاليف العلاج في المستشفيات أو العيادات الخاصة ..

ولا ينحصر سبب ارتفاع معدلات الوفيات في نقص الرعاية الصحية .. أو سوء وتدني مستوى المعيشة فقط .. وإنما يضاف إلى ذلك عنصر آخر.. وهو كثرة المشاحنات البدنية واستخدام الالات الحادة

.. وهو الأمر الذي يترتب عليه قتل أحدهم .. ودخول السجن للطرف الآخر .. ويرجع ذلك إلى الجو النفسي المشحون الذي تتسم به هذه المناطق ..

حتي الأطفال اختفت الإبتسامة من وجوههم .. لتحل محلها هموم البؤس العميقة .. التي هي أكبر من أعمارهم .. فهاموا علي وجوههم .. وتشردوا .. وباتوا مهمشين في الأرض .. قنابل موقوته تهدد الأمن .. تهدد السلام الإجتماعي .. تهدد بجرائم القتل والبلطجة والإرهاب ..

إن وجود هذا الحي في مصر .. " مصر " .. لهو كارثة يندي لها الجبين .. وينفطر لها الفؤاد !

أحفاد أحمس .. ورمسيس .. واخناتون .. وخوفو ..

أحفاد بناة الأهرامات .. والمعابد ..

أحفاد أكبر حضارة عرفها التاريخ ..

أحفاد محمد علي ..

أحفاد عبد الناصر .. وقوانين يوليو الإشتراكية ..

نساء ورجال .. أطفال وشيوخ .. يعيشون على الهامش البائس .. في دائرة النسيان الجهنمية .. محرومون من أدنى حق للحياة الكريمة .. يعانون من الجهل .. و المرض .. والفقر .. والأمراض النفسية .. والبؤس .. في بقعة من مصر .." من مصر" .. احتوت كل السمات غير الحضارية والمشاكل الإقتصادية والإجتماعية ..

ألا يعلم السادة المسئولون أنه .. و نتيجة لوجود ثقافة الفقر وعدم القدرة على مجاراة العالم الخارجي من ناحية الإمكانيات الجبارة ومستوى المعيشة المرتفع .. أنه قد يتولد لدى هؤلاء المقهورين .. الشعور بالعدوانية وخلق شخصية غير سوية لديها إحساس بإتهام هذا العالم الخارجى .. هؤلاء النبلاء الجدد .. بأنهم سبب مباشر لما هم فيه من معاناة رهيبة .. بمشاركة ومباركة المسئولين الرسميين .. فيتولد لدى هؤلاءالإحساس بالغربة الإجتماعية.. الذي يتحول بعد ذلك إلى الإستعداد الكامل لاستخدام العنف ضد المجتمع الخارجى والميل الشديد للإنحراف نتيجة كل هذه الظروف الحياتية التي تحيط بهم .. ونتيجة إحساسهم بالظلم الفادح الواقع عليهم .. وخاصة في ظل عدم وجود توعية إجتماعية أو دينية ..

إنهم لا يعرفون هذه الآلية .. ولا يفهمونها .. ولا يحللونها .. إلا أنهم سيصبحون هكذا ..

ومن المؤكد أنه سوف تتولد بيئة مناسبة للعنف و الارهاب .. أو حتى على أقل تقدير .. ألا يفرز ذلك شريحة إجتماعية ذات مستوى إنتاجى وإقتصادى وإجتماعى متدنى جداً .. لديها كل الأسباب للتوجه نحو تدمير المجتمع المحيط بهم .. فلا عائد عليهم من ارتفاع معدل النمو .. أو معدل التنمية ..

ولتذهب نظرية " تساقط الثمار " التي كان رجال الحزب الوطني يخدرون بها الفقراء والمعدومين .. إلى الجحيم ..

فلا تساقط .. ولا ثمار ..

فلم يتساقط علي رؤوس الفقراء إلا المصائب .. والآلام ..

على أي حال ..

لا شيء يدوم ..

فقد عرفت الفرحة أخيرا طريقها إلى قلعة الكبش ..

أخيرا انطلقت الزغاريد من " عشة " أبو علي .. نعم .. " عشة " .. فمن ذا يجرؤ على أن يسميها " بيت " .. فهي عبارة عن باب يخفي وراءه بعض الجدران .. غير المسقوفة .. وحصيرة ملقاة على الأرض .. وبعض المتاع التي أهلكها الصراع مع الزمن .. وبعض الكراتين التي حلت محل دولاب الملابس .. وربما لأن هذه الملابس القديمة لا حاجة بها إلى دولاب !!! ..

الشيء الوحيد الذي يستحق الإهتمام في هذه " العشة " .. هو وجود الكثير من الكتب في مجالات كثيرة .. القرآن الكريم .. الأدب .. المحاسبة .. علم الإجتماع .. الفلسفة .. الأيام لطه حسين .. مؤلفات للعقاد.. عبد الرحمن الشرقاوي.. توفيق الحكيم .. نجيب محفوظ .. تولستوي .. ديستوفسكي .. أرنست هيمنجواي .. ديكارت .. سارتر .. وتشارلز ديكنز ..

وحتي كتاب رأس المال لكارل ماركس ..

تراصت هذه الكتب باهتمام في بعض الكراتين ..

وانطلقت الزغاريد من بيت أبو علي .. وكأن الجميع يبحث عن أي فرصة .. وأي مناسبة .. لكي يفرح ويسعد ولو لبعض الوقت ..

وسرعان ما امتلأ المكان بالجيران .. أطفال ونساء وشباب ..
يسألون ويتساءلون :

- **خير يا أم علي ! الله يسعدكم كمان وكمان ويكتر أفراحكم ..!**
- **علي .. الحمد لله نجح النهارده .. وأخد البكالوريوس ..**
وأخته أمل .. نتيجتها ظهرت برضه .. وأخدت ليسانس آداب
.. الحمد لك يارب .. تعبنا وصبرنا جه على فايدة ..
- **ألف مبروك ..**
- **ألف مبروك ..**
- **عايزين الشربات يا أمل .. دول فرحتين .. فرحة لك .. وفرحة**
لعلي .. والله أعلم ح نفرح تاني أيمتى !..
- **من عينيه حاضر .. حنشرب الشربات ونفرح كلنا طول النهار**
.. ونرقص ونغني كمان ..

وجاءت البنات بأكثر من طبلة .. واحتشد الجميع أمام بيت أبو علي وشكلوا دائرة .. وفي داخلها بدأت بعض البنات في الرقص .. على دقات الطبلة المتعطشة للفرح والسعادة .. واستمر الطبل والرقص والغناء حتى أرخى الليل سدوله .. وقضى الجميع يوما جميلا .. وسعدت فيه قلوبهم بنجاح علي و أخته أمل ..

- **أين محمد يا علي ! .. ألم تلاحظ انه لم يحضر ؟ .. ألا يعلم أنه نجح أيضا ؟ .. إنه لم يتناول معنا طعام الغداء !**

قالت أمل ذلك لأخيها علي .. بعد أن اقلقها غياب محمد في هذه المناسبة ..

رد علي عليها بأسى شديد ..

- **بل يعلم يا أمل أنه نجح .. وقد قرر أن يذهب إلى قبر والده ووالدته لكي يخبرهما باكيا أنه قد نجح وحقق أغلى أمنية لهما في حياتهما .. وحصوله على الشهادة التي كانت هدفهما وأمنيتهما طوال حياتهما .. ويقرأ لهما الفاتحة .. ويدعو لهما بالرحمة والمغفرة ..**
- **مسكين محمد .. لقد أثر فيه غياب والده .. ثم غياب والدته كثيرا ..**
- **لعلنا نستطيع أن نقف بجواره حتى يخرج من هذه المحنة سالما !**
- **أكيد سوف نفعل .. هيا بنا نبحث عنه ..**
- **سوف أذهب أنا لأجده .. ولتبقي إلى جوار أبي وأمي ..فقد يحتاج أي منهما إليك ..**
- **سوف أستأذنهما .. وأذهب معك ..**
- **في إنتظارك ..**

وطلب منها الأب والأم ألا يتركا محمد وحيدا .. فقد يكون في حاجة إليهما اليوم !..

- **أين تعتقد أننا سنجده يا علي ؟!**
- **ربما على نفس الصخرة التي اعتاد أن يجلس فوقها .. فلنذهب إليها أولا .. وعلينا أن نسرع ..**
- **ربما يكون هناك فعلا !**

و صدق حدس علي ..

فها هو محمد يجلس باكيا فوق الصخرة .. يلفه الظلام .. كما يلف قلبه الحزن والألم !..

- **ها أنت يا محمد ..**

بادره علي .. وأردف :

- **أنت تجلس هنا .. بينما نبحث عنك ..**

وقالت أمل :

- **كان الجميع سعداء اليوم يا محمد ..**

وكانت قد اقتربت منه أكثر .. فلمحت دموعه تلمع في عينيه .. وهو يحاول أن يمسحها ..

فقالت في نبرة أسى ..

- **ماذا ؟ .. هل تبكي يا محمد ؟..**
- **لقد عاشا حياتهما ينتظران هذا اليوم يا أمل ..**

وأردف وهو يمسح دموعه عن عينيه ووجهه الذي ابتل كله بالدموع ..

- **لم يمنحهما العمر الفرصة أن يحضرا اليوم الذي عاشا من أجله .. كيف لا أبكي .. لقد تركاني وحيدا في هذه الحياة المظلمة الموحشة .. كيف لي أن أتحمل ذلك ..**

ويبدو أن أمل لم تتمكن من السيطرة على مشاعرها .. فدمعت عيناها .. وقالت :

- **ولكنك لست وحدك يا محمد ..**

وقال له علي وهو يمد له يده يساعده ليقفز من فوق الصخرة التي تلازمه طول الوقت :

- **هيا يا رجل .. وإلا جعلتنا نبكي هنا للصباح ثلاثتنا .. فلم تكن أم محمد أمك وحدك .. ولقد أحببناها جميعا ..**

وقفز محمد .. وتساءل ..

- **إلي أين ؟**
- **إن أبي وأمي ينتظرانا .. حتى نتناول العشاء معا فرحة بهذا النجاح لنا جميعا ..**

قال علي ذلك .. ثم أردف :

- **مبروك يا محمد .. أعتقد أنه لم يبارك لك اليوم أحد ..**
- **الله يبارك فيك يا علي .. ألف مبروك لك و لأمل ..**

قالت أمل :

- **وبهذه المناسبة السعيدة .. فسوف أعد أنا بنفسي عشاءً فاخراً هذه الليلة .. وأنت تعلم مدى جمال ..**

وكان محمد قد بدأ يخرج من حالته النفسية السيئة ..

وقاطعها موجها الحديث لها ..

- **لأ .. الله يرضى عليك يا أمل .. لا تفعلي .. فنحن نرغب في أكلة من يد أمي الثانية .. أم علي ..**
- **ماشي يا عم .. ربنا يخلي لك الست أم علي ..**

الفصل السادس

أمل

كانت أمل قد ورثت جمال و زرقة عيني أمها .. وطول القامة عن والدها ..

أما ابتسامتها التي لم تكن تفارق وجهها فقد كانت تجعله مشرقا دائما .. رغم ما كان يحيط بها من عوامل احباط .. لها .. ولكل جيرانها .. بل ولكل سكان " قلعة الكبش " ..

إستيقظت أمل من نومها .. فبادرها أبوها :

- **صباح الخير يا أمل ..**
- **صباح الخير يا بابا .. هل ماما نهضت من نومها أيضا ؟ .. وجاءها صوت أمها مفعما بالبشر ..**
- **نعم يا أمل .. صباح الخير يا ابنتي ..**
- **صباح الخير يا ماما.. بعد أن أعد لنا طعام الإفطار ونتناول الشاي .. سوف أرتدي ملابسي التي اشتراها لي أبي بمناسبة تخرجي .. وأذهب إلى صديقتي فرح لكي أبارك لها وأهنئها ..**
- **فرح هذه التي تقيم في السيدة زينب ؟.**
- **نعم يا أمي .. فقد زارتني هنا عدة مرات ولم أزرها قط .**
- **ولكم كانت دهشتي كبيرة عندما جاءت لكي تزورك هنا في قلعة الكبش !!**
- **لماذا يا أمي ؟ .. إنني لا أخجل من نفسي .. لا أخجل من أهلي .. ولا أخجل حتى من قلعة الكبش .. فمن يرغب في صداقتي وأنا من أنا .. فإنني أرحب به .. وإلا فلكل طريقه ..**

- **بارك الله فيك يا ابنتي .. ولهذا فنحن نثق بك كل الثقة .. والجميع يحب فيك هذه الروح الجميلة ..**
- **أشكرك يا أحسن أم .. والآن فلنعد طعام الإفطار ..**

واستأذنت أمل في الخروج .. وودعتها أمها كعادتها بالدعاء لها أن يحفظها المولي عز وجل .. ويعيدها سالمة ..

أما أمل فلم تنس أن تطبع على خد والدها قبلة كل خروج .. وكل دخول .. وكل الوقت .. حتى دفعها برفق بعيدا عنه قائلا مبتسماً :

- **كفى ! .. زهقتيني !!**

أما الفستان الذي كان والدها قد اشتراه لها بمناسبة تخرجها .. فكان فستانا بسيطا .. من أرخص الأسعار .. إلا أنها فرحت به كثيرا ..

وكانت بساطة الفستان تزيدها حسنا وجمالا ..

واتجهت أمل إلى حي السيدة زينب .. حيث تقيم صديقتها فرح..

وحي السيدة زينب هو أحد أحياء القاهرة القديمة الشعبية .. وقد اشتق اسمه من وجود جامع السيدة زينب في الحي . . ويعد هذا الحي من أهم الأحياء الشعبية في القاهرة .. حيث يوجد به بعض المطاعم الشعبية التي تجتذب الكثير من المشاهير لارتيادها .. وتذوق الأطعمة الشهية ..

أما السيدة زينب رضي الله عنها فهي غنية عن التعريف .. فأبوها هو الإمام علي بن أبي طالب .. وأمها السيدة فاطمة الزهراء .. بنت

رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. وجدتها لأمها السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .. وشقيقاها هما الإمامان الحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً ..

لم تكن أمل تعرف المنزل .. فأخذت تسأل عن عمارة الحاج حسن .. وهو أخو فرح .. وصاحب العمارة ..

وقالت لنفسها .. اعتقد أن هذه هي .. فها هو معرض السيارات الذي قالت لي فرح أنه في الدور الأرضي ..

ودخلت المعرض ..

- من فضلك يا سيدي .. هل هذه هي عمارة الحاج حسن ؟
- نعم يا سيدتي الجميلة .. إنها هي .. وأنا هو الحاج حسن ..

واقترب منها قائلا :

- أما أنت ؟!
- أنا أمل .. صديقة فرح .. لقد ذكرت لي أنها أخت حضرتك .. إذا لم أكن مخطئة !
- كلا .. كلا .. انها لم تكن أختي كما هي أختي اليوم !
- !!!!!!!

واستدار الحاج حسن فجأة على صوت أحدهم يناديه :

- يا حاج حسن .. يا حاج .. كلم .. المعلم الكبير.. إنه هنا شخصيا .. يريدك بالباب !
- طيب .. طيب .. أحضر عصير فريش للآنسة بسرعة ..

ووجه حديثه لأمل ..

- آسف يا فندم .. دقيقة واحدة فقط ..

وخرج مسرعا دون أن يمنحها فرصة الرد ..

وفعلا كانت أمام المعرض .. سيارة فارهة .. تفوح منها رائحة الثراء !

- **سيادتك هنا بنفسك يا كبير ؟**

قال الحاج حسن هذا وهو يفتح باب السيارة الخلفي لكي يستقبل المعلم الكبير بالترحاب والتأهيل ..

وجاء صوت أجش عميق خشن من داخل السيارة ..

- **إركب .. إركب يا حسن ..**

وألقي حسن بنفسه داخل السيارة في سرعة ودهشة ..

- **خير يا كبير .. خير ..**
- **إسمع يا حسن .. هذا الحيوان الذي تسميه " شنب " .. والذي تقول أنه ذراعك الأيمن .. وأنك تثق به كل الثقة .. عليك أن تتخلص منه فورا..**
- **حاضر يا فندم .. ولكن .. مجرد سؤال .. هل من سبب ؟**
- **مؤكد .. فلقد تجرأ وحضر بالمقر .. وطلب مني أن يأخذ حصة .. ويعمل لحسابه .. إنني منذ وفاة والدك يا حسن أتحمل هذا الحيوان من أجل والدك ولكن فاض الكيل .. أثق أنك سوف تحضر البديل الذي يستحق الثقة .. بأسرع وقت ..مفهوم ؟! و لا أريد أن أراه إطلاقا .. لا أحد بيني وبينك يا حسن منذ اليوم .. وإلا فعليك أن تحسن إختيار من تريد أن يمثلك عندي .. وتمنحه هذه الثقة الكبيرة .. كن قويا مثل والدك يا حسن ..**
- **مفهوم .. مفهوم يا فندم ..**

- مع السلامة .

ترجل حسن من السيارة .. ووقف مشدوها .. لقد فقد اتزانه لثواني ..

- ابراهيم ؟ ..

وأخذ يرددها :

- ابراهيم ؟!.. يا نهارك اسود يا ابراهيم .. هل تخون ثقة المرحوم والدي وثقتي فيك بعد كل هذه السنين ؟ .. لقد تبناك والدي منذ كنت في العاشرة ورباك وعلمك كإبنه .. ولم يبخل عليك بشيء .. ولم أبخل أنا .. حتى أصبح لديك ما لديك .. ما يحلم به الجميع .. ثم تخونني .. وتطلب من المعلم أن تنافسني .. وتعمل لحسابك ..لا أكاد أصدق .. هل هذا يحدث ؟ إنني أحلم ..

ثم أخذ يصلح من هندامه ويصلح من وضع عباءته .. وأخذ نفسا عميقا وعاد إلى الداخل ..

- يا شنب .. يا شنب ..
- نعم يا حاج ..
- ماذا تفعل ؟
- لقد قدمت العصير الفريش إلى الآنسة .. وكنت أشرح لها مزايا كل سيارة !
- وهل قالت لك أنها ترغب في شراء سيارة ؟
- وهل آنسة بهذا الجمال والحسن .. هنا بالمعرض .. إلا لشراء أغلى سيارة ؟.. إن الأمر لا يحتاج إلى كثير من الذكاء !

وأدارت أمل وجهها الذي احمر خجلا .. ولكي تخفي ابتسامتها التي ارتسمت علي شفتيها بعد سماع هذا الإطراء .. وبعد ملاحظة مدى إهتمام حسن بها ..

وأمره الحاج حسن بجفاء قائلا :

- **هيا .. هيا .. اصعد وقل للست فرح أن صديقتها الست أمل في المعرض .. مع الحاج حسن ..**
- **حاضر يا حاج .. أنا آسف يا ست أمل .. والله كنت فاكرك زبونة ..**

قالت أمل وابتسامة عريضة تزين وجهها :

- **حصل خير..**

ثم وجهت حديثها للحاج حسن ..

- **هل يمكنني أن أستأذن .. وأصعد أنا اليها ؟**
- **ولكنني أريد أن أرحب بك هنا أولاً .. لسة العصير والشاي والجاتوه وحاجات كتير ..**
- **اعتبر كل الحاجات دي وصلت يا حاج .. أشكرك ..**
- **تحت أمرك يا ست أمل .. إصعدي .. وأنا لي كلام تاني مع فرح السخيفة دي ..!!**
- **!!!!!!!!!!!!!!!**
- **إزاي ؟! .. إزاي يعني ؟!**
- **إزاي أيه يا فندم ؟!**
- **إزاي يعني ما تقولش إن لها .....**

وصمت .. ولم يكمل ..

فقد إستدارت أمل وقفزت إلى فوق .. كل درجتين في قفزة .. حتي لا تسمع ما يريد أن يقوله لها ..

وتمتم وكأنما يحدث نفسه ..

- ازاي فرح تخفي عني هذا الجمال .. ولا تعرفني بها !

وأمام باب الشقة استقبلتها فرح بالأحضان والقبلات .. فهي صديقتها المقربة ..

وأدخلتها غرفتها لكي تتسامرا وتتجاذبا أطراف الأحاديث ..

- هل رأيتِ أخي حسن ؟
- نعم .. إنه لا يتعدى الثلاثين من عمره .. وأرى أن لقب " الحاج " كبير على شاب في هذه السن !! ..
- ولكنه يحب ذلك .. والجميع ينادونه " الحاج حسن " ..
- معرض السيارات جميل ..
- نعم .. وقد أسسه له والدي .. الله يرحمه .. قبل وفاته بوقت قصير .. أما والدي فكان يعشق الإستثمار العقاري والسياحي .. وقد بدأهذا النشاط في الإسكندرية .. قبل أن يستقر به المقام هنا في القاهرة ..
- ربنا يبارك ..
- والآن .. ماذا تنتظران أنت ومحمد .. لقد تخرجتما .. فلمَ لمْ تعلنا الخطوبة رسميا ..؟ لا وقت لإضاعته .. ولا مبرر لانتظار وقت أخر ..
- إن الموعد غدا إن شاء الله .. ولكن سيكون في حدود ضيقة جدا لأسباب تعرفينها .. قد تكون الماديات أحد الأسباب ..

ولكن وفاة الست أم محمد لا زال تأثيره واضح على محمد.. لم يتخلص منه بعد.. وأنا أحترم مشاعره..

- **أتفهم ذلك .. فأنت يا أمل متفهمة لمشاعر الجميع .. وأنا أحسدك على هذه السلوكيات الرقيقة .. ولكن هل هذه الحدود الضيقة جدا تسع أختك فرح أم لا ..**
- **يا سلام يا فرح .. أنت تعلمين أنك أول المدعوين .. فهل لي صديقة أقرب إلى نفسي منك ..**

وتنهدت أمل قبل أن تتابع حديثها ..

- **سوف يفرح الجميع غدا من جيراننا في قلعة الكبش .. ولكنني أشفق على كل أهل الحي .. فقد نال منهم المرض .. أقصد النسبة الكبيرة منهم .. حتى أن أطفالهم قد تركوا مدارسهم واتجهوا إلى العمل لكي يساهموا في الإنفاق على أهلهم وزويهم .. وإعالة أسرهم.. والطامة الكبرى هي إنتشار المخدرات .. كثيرون في الحي من الشباب يتعاطون المخدرات بأنواعها .. حتى أن بعضهم أصبح يطلق على الحي اسم " قلعة الماكس " ! .. بدلا من " قلعة الكبش " .. تخيلي ؟!**
- **ولكنهم فقراء يا أمل !! فمن أين لهم بالمال الذي يشترون به المخدرات ؟!**
- **نعم .. فالمخدرات تزيدهم إفقارا .. ولولا المخدرات لكان وضعهم أفضل .. سيكونون أقل فقرا .. ولكن هم يعيشون في بيئة صالحة لانتشار تعاطي المخدرات ..**

بل مثالية لمزاولة هذه التجارة القذرة ..

- **وأين الحكومة من كل ذلك ؟**
- **بل قولي .. وكيف سمحت الحكومة أن يحدث ذلك منذ البداية !! .. هنا تكمن المشكلة .. فالحكومة غائبة أصلاً عن المشهد .. وكأن هذا الحي غير موجود ..**
- **غياب الإحساس بالمسئولية .. غياب الوعي الوطني .. غياب الضمير ..**
- **وطبعا غياب التخطيط .. وغياب الإستراتيجية في التنمية الشاملة .. والإهتمام برعاية الشباب كمصدر من مصادر الثروة ..**
- **لقد تركت الحكومة المسئولية على المجتمع المدني .. وعلى ضمير رجال الأعمال .. ولكن هذا ليس كافيا .. فالمبالغ المطلوبة طائلة .. والمجهود عظيم لا يقدر عليه أحد منفرداً .. لا بد من احتضان الدولة لهم ..**
- **ولكنني لا ألقي المسئولية كاملة على الحكومة .. فنحن سلبيون إلى درجة ما .. ونشارك في تحمل المسئولية !**
- **بمعنى!**
- **منذ أكثر من أربعين عاما .. وحتى اليوم .. الجميع يرى بنفسه ويعرف أن المشكلة تزداد يوما بعد يوم .. وعلى الرغم من حالة الجهل والمرض والفقر التي ترينها .. يوجد شباب جادون كثر .. وخريجو جامعات .. ولكن الغريب أنه عند مناقشة مشاكل هذا الحي فإن الأفكار تتجه إلى السؤال**

: كيف نتجنب مشاكل هذا الحي لكي نعيش فيه دون أن يؤثر على مسيرة حياتنا اليومية ..

وليس كيف نقضي على مشاكل هذا الحي يوما بعد يوم .. ومع مرور الوقت نكون قد نجحنا .. ولو نسبيا .. في إيجاد بعض الحلول ..

- **ولكن كيف .. وانت تتحدثين عن بشر معدمين ..**
- **هؤلاء الخريجون .. مهما كان مجال عملهم .. ومهما وصل بعضهم ولو القلة .. إلى وظائف لا بأس بها .. لم يسمع أحد أنهم وقفوا وقفات إيجابية .. وطالبوا الحكومة بحقوقنا في الحياة الكريمة .. لم يسع أحد .. من خلال مجلس النواب مثلا .. أن يثير هذه القضايا التي تعتبر أمن قومي .. لإيجاد الحلول المناسبة لمشكلة انتشار العشوائيات عموما .. والحد من آثارها السلبية المدمرة .. لم نسمع أن بعضهم قد كونوا مجموعات جادة للتوعية .. ونشر الفكر والثقافة بين أهل الحي .. أو حتى محو الأمية .. وخاصة الإهتمام بالأولاد الصغار .. الذين يتسربون من المدارس ويتجهون للعمل لكسب العيش و إعالة ذويهم المحتاجين لأقل القليل من سبل العيش ..**
- **مرة أخرى يا أمل .. تتجاهلين أنك تتحدثين عن أولاد في حاجة إلى أموال ومساعدات عينية .. وليس أفكار وثقافة فقط !!.. إنهم في حاجة إلى رغيف الخبز أولاً ..**

- **فلتكن كل المحاولات إذن في طرق متوازية .. المساعدات المالية والفكرية سواء من الحكومة .. أو من رجال الأعمال .. أو من الأزهر .. أو من خلال الجمعيات الأهلية .. إن بعض الجمعيات الأهلية تجمع مليارات الجنيهات من التبرعات .. أليست هذه التبرعات من أجل الإنفاق على هذه الحالات البائسة ؟ .. أم من أجل ماذا يدفع المتبرعون ؟!**

ويمكن أيضا مساعدة الحي من خلال إلقاء الضوء علي مشاكله في برامج الفضائيات .. فهذا يساعد كثيرا .. خاصة إذا سببنا الصداع للحكومة بكثرة التركيز على الجوانب السلبية الكثيرة .. بل الخطيرة .. لوجود مثل هذه الأحياء في مصر .. وآثاره السلبية خاصة على الأمن القومي ..

أقول .. ومع هذه المساعدات .. يأتي دور شباب الحي في توجيه أفكار الأولاد .. وحتى الكبار .. إلى ضرورة .. بل حتمية الإستمرار في المدارس وانهاء مراحل التعليم .. وتعريفهم بكيفية تجنب بعض الأمراض والوقاية منها ..

- **وماذا عن انتشار تجارة المخدرات .. وماذا عن الثعابين والعقارب والفئران التي تعيش بينهم .. والذباب .. والصراصير .. وماذا عن أمراض الكبد التي تحيلهم إلى موتى فوق الأرض؟.. أو على الأقل تحيل أجسادهم إلى أشباح نحيلة متحركة .. وأمراض الكلى .. وغيرها .. وغيرها ..**
- **هذا ما قلته .. دور الشباب لمطالبة المجتمع كله بحلول استراتيجية لكل هذه المشاكل .. من خلال أعضاء مجلس**

النواب .. ومن خلال كل وسائل الميديا .. من تلفزيون .. وإذاعة .. والصحف .. والإنتر نت ..

إن المجتمع .. بتخاذله .. هو الذي أوجد المشكلة .. وهو الذي سمح لها بالإنتشار .. وهو المسئول عن وضع استراتيجية طويلة شاملة لحلها ..

وإن علينا المساعدة ..

وسوف أحاول مع علي ومحمد .. خاصة وقد تخرجنا ..

وأصبح لدينا الوقت .. أن نكون مجموعات عمل ونسجل مهام كل مجموعة .. والمطلوب منها .. وآلية تنفيذه .. ومتابعتها .. وأنا كلي يقين أننا سوف ننجح مع مرور الوقت في تخفيف حدة الجوانب السيئة للمشاكل في الحي .. إلى أن نصل إلى حياة كريمة للجميع بإذن الله .. سوف يتطلب ذلك الوقت .. والعمل .. وبذل الكثير من الجهد .. ولكن علينا أن نبدأ .. وكل خطوة سوف يتبعها خطوة أخرى والله الموفق .. وإذا كان هذا متأخرا .. فأن نبدأ متأخرين .. خير من ألا نبدأ ..

- **لديكم الكثير إذن لتفعلوه .. ولكن سوف يكون لي بصمة في خريطة عملكم .. وهي مصادفة .. وليست مرتبة .. بل هي مشيئة الله ..**
- **كيف ؟**
- **لقد أسس أخي الحاج حسن جمعية أهلية لمساعدة الأسر المحتاجة منذ بضعة شهور .. وكان هذا بإلحاح من أمي .. فهي تعشق العمل الخيري الإجتماعي .. وسوف أطلب منه**

الإهتمام بقلعة الكبش .. ويعطي أهلها الأولوية في مد يد العون لها .. وقد يساعدكم هذا في تنفيذ ما تفكرون به أنت ومحمد وعلي والأخرون ..

- **بارك الله فيك يا فرح .. إن هذا الخبر سوف يسعد الجميع .. ولكنني لن أعلنه إلا بعد موافقة الحاج حسن .. ولذا أرجو الإسراع في أخذ موافقته .. حتى نبدأ بقوة ..**
- **وليس هذا فقط يا أمل .. فسوف يكون لي دور شخصي في البرنامج الذي سوف تخططون له بإذن الله ..**
- **لست أدري كيف أشكرك على كل ذلك التوجه للخير .. وهذه الإيجابية .. وأرجو أن تشكري الحاج حسن .. طبعا بعد موافقته .. فقد يكون له توجهات أخرى ..**
- **لا أظنه يمانع ..**
- **والآن .. أنصرف بعد أن سببت لك الصداع .. طوال الساعات الماضية والحديث المؤلم عن أهل الحي ..**
- **لا يا أمل .. فأهلك هم أهلي .. وجيرانك هم جيراني .. ومشاعرك تجاههم هي نفس مشاعري ..**
- **أشكرك يا فرح ..**
- **مع السلامة يا أمل .. انتظريني غدا .. لسببين .. الأول هو حضور الفرح بمناسبة الخطوبة .. والثاني هو لكي أزف إليك خبر موافقة الحاج حسن ..**
- **وصدقيني يا فرح .. سوف تكون الفرحة فرحتين .. فرحة الخطوبة .. وفرحة إسعاد كل أهل الحي بوقوف جمعية**

الحاج حسن في جانبهم ..

- **أراك غدا على خير ..**

وعانقتها .. وانصرفت .. وأمل رائع يهز أعماقها .. فقد تستطيع غدا أن تفعل شيئا صالحا يدخل البهجة في قلوب أهل الحي ..

ومضت أمل تحدث نفسها .. وتبتهل إلى الله ..

يارب اهدي الحاج حسن .. واجعله يوافق على معاونة أهل الحي .. فهم في حاجة ماسة إلى من يقف إلى جوارهم ..

توجهت أمل بذلك الدعاء إلى الله .. وهي تهم بالخروج من عمارة الحاج حسن ..

obeikan.com

الفصل السابع

يوم سعيد

إستيقظ سكان " قلعة الكبش " في الصباح الباكر .. وبعض العمال يقومون بتركيب " سرادق " كبير في المنطقة الفراغ القريبة من بيت أبو علي .. وعلى الجانب الآخر منها مساحة كبيرة مسورة بالسلك الشائك .. والتي كساها شباب الحي بالعشب .. واتخذوا منها ملعبا يجمع شباب الحي .. سواء من أجل لعب كرة القدم .. أو مكانا للقاءاتهم .. واجتماعياتهم .. وأقبل الكثيرون من الشباب والأولاد وبعض النسوة .. ولكل واحد منهم تصور مختلف .. ولكل منهم سؤاله .. ماذا ؟ .. ولماذا ؟ ..

- **ماذا هناك يا باشمهندس ؟!! .. ولماذا هذا السرادق الكبير ؟! .. من كلفكم بذلك ؟! ..**
- **إننا لا نعرف مثلكم .. وكل ما هنالك .. هو أننا جاءتنا أوامر لتركيب سرادق كبير في هذه المنطقة يسع مائتي طاولة "مترفي متر " وثمانمائة كرسي .. وتزويدها بالبساط .. والكهرباء ..هذا كل ما لدينا ..**
- **ممن الأوامر ؟! .. ولصالح من ؟! ..**
- **إنها بأوامر من جمعية مصر للتنمية البشرية " .. وهم من قام بسداد الفواتير ..**

ومع مرور الوقت .. كانت الأعداد تتزايد .. وأخذ المكان يعج بالحاضرين .. بين متسائل .. ومتفرج ..

وبدأ العمال يجرون عملية تسوية بسيطة للأرض حتى يستطيعوا بسط البساط عليها وتمهيدها لوضع الطاولات والكراسي ..

وأخذ الحاضرون في مساعدتهم .. كسبا للوقت .. ومشاركة منهم في هذا العمل الذي لم يحدث من قبل في الحي ..

وأخذوا يعلقون اللافتات القماشية .. كتب علي الأولي :

" هدية أهل الحي من جمعية مصر للتنمية البشرية "

كما كتب علي الثانية :

" تحية من الحاج حسن الشرقاوي .. إلى محمد و أمل ..

..ألف مبروك الخطوبة.. "

- **هكذا الأمر إذن .. لقد وضحت الأمور ..**
- **وما صلة محمد وأمل .. بالحاج حسن ؟!..**
- **وما دخل كل ذلك بجمعية مصر للتنمية البشرية ؟!**
- **وما دخلنا نحن بهذه الأسئلة .. هيا نساعدهم .. فالعمل كثير .. ويحتاج وقتا طويلا .. وإلا فلن ينتهوا منه قبل أن يحل الظلام .. فنحن المستفيدون ..**

وتوجه البعض إلى بيت أبو علي ..

- **أنتم نائمون يا علي .. والحي مقلوب ..!!**
- **ماذا ؟! .. مقلوب ازاي ؟!..**
- **تعالى لكي تري بنفسك .. إن الحي كله اليوم سوف يفرح فرحة كبرى على شرف محمد وأمل ..**

وجاءت أمل مع كلماته الأخيرة ..

وما علاقة محمد وأمل بما تقول ..

هيا .. هيا .. انظرا بأنفسكما .. ها هو السرادق الذي يقام لكما ..!! سرادق كبير يكفي أهل الحي جميعا ..

وجاء أبو علي .. وعلي .. وأمل ..

وأدرك أبو علي أن فرح لها علاقة بالموضوع .. فتوجه إلى أمل يسألها :

– يا إلهي .. هل هي فرح يا أمل ؟!..

لم تكن أمل في مثل هذه الحالة من السعادة من قبل .. فعانقت أخيها قائلة :

– يا الله .. يا الله .. لقد فعلتها فرح يا علي ..!!

– نعم .. ولكن .. كيف هذا .. لقد كان حديثك معها أمس فقط .. أقل من أربعة وعشرين ساعة ! كيف فعلوا كل ذلك ؟!

فجاء الجواب من أبيه .. وهو يهز رأسه باليقين ..

– هكذا الأغنياء يا بني .. إذا قرروا فعلوا .. ومع توافرالأموال .. فلا حساب للوقت ..!

– صدقت يا أبي .. إتصلي بها يا أمل .. قولي لها كم هذا رائع .. واشكريها على إقناع الحاج حسن .. وقولي لها أن الجميع يشكرها .. على كل شيء ..!.. ولا تنسي شكرنا للحاج حسن .. ولو أننا سوف نشكره بصفة شخصية فيما بعد .. فلا شك أننا سوف نراه هنا ..

وأدارت أمل رقم فرح .. وهي تقول لنفسها .. أرجو ألا تكون نائمة !!

وجاء صوت فرح ينبيء بأنها لم تكن نائمة ..

- **صباح الخير يا أمل ..**
- **صباح الخير يا أحلى فرح ..**
- **الأخبار عندك أيه ؟! ..**
- **الأخبار عندي أيه؟! .. ما هذا الذي فعلتيه يا فرح .. وكيف تم ذلك بهذه السرعة ؟!.. ومتى أقنعتي الحاج حسن .. وكيف .. وكيف .. ألف كيف!**
- **لو عرفتي يا أمل ماذا حدث أمس بيني وبين حسن .. وماذا قال لي .. لما سألتي ولا سؤال من كل هذه الأسئلة ..**
- **يبدو أنه كان حديثا طويلا ..**
- **بل قولي أن تأثيرك على حسن كان مدهشا !**
- **أنا ؟!..**
- **نعم !**
- **أنا لم أتحدث مع الحاج حسن إلا دقائق معدودة !**
- **وإن من الجمال ما يصنع المعجزات !**
- **لا .. لا تبالغي .. وقولي ما حدث !**
- **لو أنكِ انتظرتِ قليلاً أمس .. لتناولنا جميعا على شرفك أشهى وجبة غذاء .. إلا أن حسن حرمنا منها لأننا سمحنا لكِ أن تغادري قبل أن يصعد .. ويطلب منك أن تتناولي معنا الغذاء .. ولم يكن ليستمع إلى أي عذر قد تبدينه !**
- **ولكنني لم أكن لأوافق .. فلم أستأذن من أبي وأمي أن أتغيب عن البيت لوقت أطول من هذا ..**

- لقد صعد بعد أن انصرفتي بوقت قليل .. ويبدو أنه لم يركِ وأنت تغادرين .. ولو رآك تغادرين لما سمح لك بالمغادرة !
- ثم !
- لقد كان بصحبته ابنه " مصطفي " .. وابنته " دينا " .. وهما توأمان .. في السادسة من العمر .. وسوف تحبين دينا .. إنها في غاية الجمال والرقة.. وحسن يحبهما حبا جما ..
- أليس لديه أطفال سواهما ؟ ..
- لقد توفيت أمهما منذ عامين .. ولم تنجب له سواهما .. ولذا فهما يمثلان كل شيء في حياته ..
- مسكين مصطفي ودينا .. إذن لقد فقدا أمهما وهما لا زالا في الرابعة من العمر .. إنه عمر صغير جدا على أن يتحمل طفل فقدان أمه .. مصدر الحنان والدفء .. وحضن الأم لا يعوضه أي حضن .. ولا حتى حضن الأب ..
- هكذا قدر لهما .. وإنني أحاول جهدي أن أعوضهما شيئا من الحنان الذي فقدوه .. وليعينني الله على ذلك .. وكذلك تفعل جدتهم .. فأمي ترعاهما بحب وعطف شديدين ..
- أرجو أن تحضريهما معكِ في المرة القادمة ..
- المهم أن حسن سأل عنكِ .. وعندما أخبرته أنك قد انصرفتي غضب مني وقال أنه كان يعتزم دعوتك للغذاء معنا .. وقال لي أنني سخيفة جدا بسبب عدم إخباره بأن لي صديقة في هذا الجمال ..
- إنه يبالغ كثيرا يا فرح ..

- على أي حال فقد شرحت له طوال ساعة كاملة .. أحوال الحي .. ولم أكن أتوقع أن يكون رد فعله بهذا الحجم .. وهذه السرعة .. وهذا الحماس ..
- لا .. لا .. لاينفع معي هذا القول المُجمل .. أريد تفصيلا مملا عما ينتوي فعله من أجل الحي ..
- أولاً من أجل خطوبتك أنتِ ومحمد .. هكذا يقول .. سوف يقيم لكما هذا السرادق الذي ترينه يقام حاليا .. ويدعو ثمانمائة من أهل الحي للغذاء .. واعتقد أنه باعتبار أن اليوم يصادف يوم الجمعة .. فسوف يحضر ضعف هذا العدد .. وستكون وجبة كريمة .. ومشروبات ..

وكافة الإستعدادات التي تجعل منه يوما جميلا سعيدا على الكل بإذن الله ..

وطبعا .. سوف يحضر معي .. وابنه وابنته ..

- أشكر لكِ كل هذه الجهود يا فرح .. إنكِ لا تعلمين كم ستكون سعادة كل أهل الحي ..
- يا عزيزتي .. لقد قلتُ لك الجزء البسيط الساهل من نواياه تجاه أهل الحي ..!! وما خفي كان أعظم !
- إذن ماذا يخطط له أيضا ؟
- سوف يحضر معه في المساء بعض أعضاء الجمعية الخيرية المسئولين عن مختلف الأنشطة الإجتماعية لدراسة كل ما يمكن تقديمه لأهل الحي من المساعدات المالية .. والعينية .. والصحية ..

- **إنه خيال يا فرح .. إنني أحلم .. فليس من المعقول أن يتحقق كل هذا للحي في غمضة عين .. بين ليلة وضحاها ..**
- **إنك صاحبة الفضل في هذا يا أمل ..**
- **أرجوك تعالي الآن يا فرح .. وأحضري معك الأولاد ..**
- **لماذا الآن ؟! .. أليس من الأفضل أن أحضر في المساء ؟!**
- **لا .. لا .. فأمامنا الكثير ..**
- **لكي لعمل ماذا ؟!**
- **سوف نكون فريق عمل حال حضورك .. بابا وعلي ومحمد وأنا .. طبعا بحضورك .. ونكتب قائمة بكل من نثق فيهم من شباب .. أولاد وبنات .. ونستدعيهم .. وكل واحد منهم سوف يكتب قائمته .. ويستدعيها .. وهكذا ستكون متوالية هندسية تحقق رقما كبيرا جدا .. لمن سوف نستدعيهم .. ليس فقط من أجل الغذاء .. ولكن لكي يكون حضورهم مثمرا في وجود الحاج حسن والسادة أعضاء الجمعية .. وتكون المناقشة متكاملة الموضوعات .. وحتى يعرف كل شاب ماذا عليه أن يفعل في المرحلة القادمة .. فأنا أشعر أن الأمور ستتوالى في سرعة ونجاح لم نصادفه من قبل .. يا إلهي .. إن سعادتي تكاد تفجر قلبي .. إنني أكاد أطير فرحا ..**
- **من أجل الخطوبة ؟!..**
- **أنت تعلمين يا فرح .. كم من المشروعات التنموية والخيرية التي أود أن أقدمها لأهل الحي .. إن اهتمامي بهم .. والإنتماء لهم .. شديد جدا.. رغم فقرهم .. وبساطتهم .. أريد أن أقدم**

لهم الكثير .. ولا يمنع هذا طبعا من شدة فرحي وسعادتي بالخطوبة .. فأنتِ تعلمين أن محمد واحد طيب جدا .. خلوق .. جاد .. له نفس أحلامي .. حياة بسيطة .. كريمة .. بين أهلنا هنا في هذا الحي ..

- ربنا يوفقكم يا أمل .. فهذا الحلم البسيط .. سوف يتحقق قريبا إن شاء الله ..
- هيا .. هيا .. ارتدي ثيابك .. فأنا في انتظارك ..
- مع السلامة ..

واتجهت أمل إلى والدها قائلة :

- هيا يا أبي .. وأنت أسرع من فضلك يا علي .. أحضر محمد .. فالخطط طويلة جدا .. والبرنامج يحتاج إلى وقت أطول .. قد لا نستطيع توفيره إلا بمساعدة الآخرين ..

كان أبو علي رجلا طويل القامة .. ممتليء الجسم .. في الستين من عمره .. شعره أشيب .. ذو وجه حاد .. قوي .. مليء بالتجاعيد .. وقد كانت عيناه الزرقاء عنيدة .. دائمة اللمعان ..

كان من يراه يعتقد أنه رجل عصبي المزاج .. قاسي الطباع .. إلا أنه كان حقيقة عكس ذلك كله .. فقلبه الرقيق لم يكن يتحمل يوما رؤية صبي في الحي يتضور جوعا .. أو يشكو ألما .. أو يعاني مرضا ..

وربما كانت أمل وعلي قد اكتسبا هذه الرحمة من سمات أبيهما الجميلة التي كان يتسم بها .. والتي من أجلها التفت

القلوب في الحي حوله .. وأحبوه جميعا ..

نظر أبوعلي لإبنته وسألها :

ماذا قالت لك فرح ؟

– سوف أشرح لكما في عجالة .. وسوف تتأكدان من ضيق الوقت ..

وانصرف علي مسرعا لإحضار محمد .. وذهبت أمل مع والدها إلى البيت في انتظار عودة علي ومحمد .. لبدء تحركاتهم ..

وفي هذا الوقت كانت فرح تساعد مصطفى ودينا في ارتداء ملابسهما ..

لقد قتلت أمهما في حادث غامض .. ليس له تفسير!

هذا ما قالته فرح لأمل عندما سألتها كيف ماتت أمهما ..

وكانت فرح تشفق عليهما كثيرا وتحنو عليهما منذ فقدا أمهما منذ عامين مضت ..

كما كان أبوهما الحاج حسن يمنحهما كل الاهتمام .. ولكم بكى وذرف الدموع بعد مقتل زوجته .. وأبيه منذ عامين .. كلما تذكر ما حدث ..

فقد كان الحاج كمال قادما من الإسكندرية .. وقد اصطحب معه زوجة ابنه حسن .. والدة مصطفي ودينا .. حيث كانت تشتري من الإسكندرية بعض الملابس التي كانت تفضل شراءها من هناك .. وكانت قد تركت الأولاد في رعاية جدتهما في القاهرة..

كان حادثا مروعا ..!!

هكذا كتبت الصحف التي نشرت الخبر في حينه ..

فقد شهد الشهود أن شابان .. في الثلاثينات من العمر .. كانا يستقلان دراجة بخارية .. أوقفا السيارة التي كان يقودها .. وما أن توقف حتي انهال عليه وابل من الطلقات النارية .. وأيضا .. على السيدة الشابة .. التي كانت تركب إلى جواره .. وأرديا‌هما قتلى .. ولاذ الرجلان بالفرار .. قبل أن تحضر سيارات الشرطة .. ولم تكن الدراجة تحمل لوحة أرقام معدنية .. وقد قضت السيدة في الحال .. بطلق ناري واحد .. أما الرجل فقد أصيب في الرأس برصاصة .. بينما استقرت في القلب عدة رصاصات .. وبينما كان يترنح .. كانت يداه ترفرفان بعد تلقيه لكل طلقة .. وكأنهما جناحا طائر يرفرف في الجو وهو يطير ..

وقد تبين بعد ذلك أن الرجل هو رجل الأعمال الكبير وصاحب " شركة الإسكندرية للإستثمارات العقارية والسياحية " .. السيد كمال الشرقاوي ..

وقيدت الحادثة " ضد مجهول " ..

ولم يكن الفاعل مجهولا .. إلا للشرطة !!

وحتى السبب كان مجهولاً !! ..

فلماذا قتل الرجل ؟! .. ولماذا قتلت المرأة ؟!

هذا ما قد تكشفه الأيام !!

فالرجل يده بيضاء .. وممدودة للخير دائما .. حتى أنه معروف لدى الكثير من الجمعيات الخيرية .. ويؤدي صلاة الفجر في المسجد .. ولا أعداء له !!..

هذا ما جاء في الصحف .. في ذلك اليوم !

ويقال أن عائلة المرشدي .. في الشرقية .. قد وافقت أخيرا على تقبل العزاء !!

وحزن حسن كثيرا على وفاة أبيه .. وزوجته في يوم واحد .. وبكى بمرارة ..

وعلم أن هذه هي نهاية والده المحتومة ..

وأن هذا هو التفسير البسيط للأحلام والكوابيس التي كانت تطارد والده في نومه .. باستمرار ..

فالهارب لن يظل هاربا ..

وساعة الحساب لا بد قادمة !!

ولكن .. زوجته.. وأم هذين الطفلين .. ما ذنبهما ؟! ..

هكذا هو الحال دائما .. فلا بد أن يكون هناك ضحايا .. لكي يكون العقاب شديدا !!

بهذا أقنع نفسه .. لكي يتقبل الأمر !!

وكان عليه أن يتماسك .. لكي يخرج من هذه المحنة سالما !!

ورغم حزنه الشديد .. إلا أن هذا لم يجعله يتزحزح عن طريقه الذي رسمه له أبوه قيد أنملة !!..

فلقد بدأ طريقا .. عليه أن يواصل فيه حتي نهايته !

وكانت الصدمة عنيفة على حسناء .. فزلزلت كيانها ..

وأفقدتها توازنها .. فقد كان كمال هو حبيبها .. وزوجها ..
وأبو أولادها .. وحتى بعد أن مات أبوها كان كمال يمثل أبيها .. لقد كان لها كل شيء .. كل الناس .. وانهارت .. وظلت حبيسة الفراش في الفيلا لفترة طويلة .. وكان البكاء المرير هو حليفها وأنيسها بعد أن فقدت ينبوع الحنان ..
يقولون أن الزمن يحل مشاكل كثيرة .. وينسي الإنسان أشياء كثيرة ..
ومع مرور الزمن .. بدأت حسناء تستعيد حيويتها .. وشيئا فشيئا بدأت تمارس حياتها الطبيعية .. وتذهب إلى دور الأيتام والجمعيات الخيرية التي هي عضوة فعالة فيها ..
إلا أنها لم تستطع أن تقيم في الفيلا التي شهدت كل الأيام السعيدة .. والليالي المميزة التي ملأت حياتها فرحة وبهجة مع كمال .. فقررت أن تقيم مع حسن ابنها في السيدة زينب .. ومع ابنتها فرح .. حتى تستطيع أيضا أن ترعى الأطفال مصطفى و دينا .. الذين خطف الموت أمهما وهما لا يزالان أطفالا.. في أمس الحاجة إلى الرعاية والإهتمام بهما ..
وفعلا كان للجدة والعمة الدور الكبير في أن يتجاوز الأطفال هذه المحنة الرهيبة ..
وامتلأت غرفتهما باللعب .. ووسائل الترفيه ..
وأغدق الجميع عليهما بالحب والحنان ..
لا شك انهما كانا يتذكران أمهما .. إلا أن العمة والجدة والأب كانوا جميعا يحيطونهم بالعطف .. والرعاية ..

الفصل الثامن

الماضي

يقولون أنه .. لا شيء يدوم ..

وأن الماضي لا يموت .. بل دائما ما يعود .. ويطل علينا ..

وهي كثيرة .. تلك النوافذ التي تسمح له بأن يعود .. ويطل علينا من خلالها .. فإما أنها نوافذ ظلامية .. فينقبض القلب لرؤيتها .. وتنقلب حياتنا رأساً على عقب .. ويكون العقاب أشد مما نحتمل .. وأقسى مما نتوقع .. ويخرج الماضي لنا لسانه .. وكأنه يقول لنا .. مهما طال الزمن .. ومهما اعتقدتَ أنكَ هربت من ماضيك .. فإنني أقرب إليك من ظلك !

وإما أنها نوافذ مضيئة .. فنكون نحن من ينتظر عودة الماضي .. وإطلالته الجميلة.. لكي يضفي على قلوبنا سعادة طال شوقنا إليها .. وحنيننا لبهجتها .. فيضمنا الماضي بجناحيه الرحيمتين .. وكأنه يقول لنا .. هنيئاً لكم .. ما أسلفتم في الأيام الماضية .. فالخير لا يضيع .. ويطير بأرواحنا إلى عنان السماء!

فأيهما كان الماضي .. بالنسبة لكمال ؟!

وأيهما كان الماضي .. بالنسبة لحسن ؟!

وهل حسن يقيم وزنا للغد؟!

وهل يفكر في آخرته ؟!

وهل يصنع الخير من أجل الخير ؟!

هذا ما سوف تخبرنا به أفكاره وتوجهاته ..

فعندما انتصف النهار .. وأذن للصلاة .. توقف العمل لحين الإنتهاء من صلاة الجمعة ..

وبعد وقت قصير كان العمال قد انتهوا من إقامة السرادق .. وعَبَّدوا الأرضَ .. وفرشوا البساط ..

وكانت الساعة تقترب من الثانية بعد الظهر عندما وصلت فرح ومعها مصطفى .. ودينا ..

كانت فرح قد ورثت عن أمها هذا السحر الذي يشع من الوجه .. والذ ي امتزجت فيه الملامح الرقيقة .. والملامح العميقة التي أخذتها عن أبيها ذي الوجه النضر .. الجذاب .. أما عيناها الخضراوان فكانتا مفعمتين بالحيوية .. وتزدان برموش سوداء كثيفة مطبقة قليلا عند أطرافهما .. يعلوهما حاجبان كثيفان سوداوان ينحرفان صعودا في الجبهة .. لكي ترسم مظهرا رائعا من مظاهر السحر والجمال ..

وكانت فرح تبدو دائما في صورة جميلة .. فكان ثوبها الأخضر الجديد يبرز بشكل رائع خصرها النحيف .. وقوامها الرشيق .. أبدع الخالق في رسمه .. فسبحان الخالق ..

- **ما شاء الله .. ما شاء الله .. إن الكثير من أولاد الحي قد تجمعوا في هذا الوقت القياسي ..**

قالت فرح ذلك وهي تتلقى الترحيب من كل المتواجدين .. ومن أمل وأبوها .. وأمها .. وعلي .. ومحمد ..

كان الكثير من الأولاد يرتدون الثياب الرثة .. والملابس البالية .. التي تكشف عن كل مظاهر الفقر والعوز ..

هذا سرواله ممزق من طرف الساق .. وهذا ظهرت ركبته من سرواله القديم المتسخ ..

وهذا تبدو ملابسه أكبر كثيرا من حجمه .. فهكذا حصل عليها من أحد المتصدقين ..

وهذا جاء حافي القدمين .. فلا حذاء لديه ..

وهذه بدا شعرها منكوش .. فأمها المسكينة غارقة في خدمة البيوت لإعالة الأسرة .. فلا وقت لديها لرعاية أبنائها !!

فتركتهم للشارع غير مختارة .. ليفعل بهم ما يشاء .. فإذا قذفتهم الرياح إلى هاوية جهنم الجريمة والرزيلة والمخدرات .. فلن يكون هناك أدنى مقاومة .. وإذا قذفتهم أقدارهم إلى عالم التسول والتشرد والضياع .. فسيكون ذلك المصير .. هو أقل الأضرار المحتملة !

حقيقة يوجد بعض الأولاد في ثياب لا بأس بها .. وفي صورة لا بأس بها .. إلا أنهم القلة ..

وكانت فرح ترى هذه النماذج البائسة من الأطفال .. وينفطر قلبها .. وهو ما جعلها توجه حياتها لفعل الخير .. ربما تستطيع أن تفعل شيئا جيدا لمساعدة هؤلاء الأطفال .. ولأهل الحي عموما ..

ولم تكن تنفر منهم .. رغم إتساخ ثيابهم الممزقة .. كما لم يثنيها مشاهدة أقدامهم الحافية ـ التي كساها التراب – عن إصرارها على مساعدتهم .. أو يجعلها تشمئز من الإقتراب منهم .. علي العكس من ذلك .. كانت تداعبهم .. وتحاول

التسرية عنهم !

وأخذت أمل تعانق مصطفى ودينا .. وتقبلهما ..

- **نورتما الحي كله يا حبايبي ..**

ويا له من يوم جميل ..

ثم أطلعت فرح على الخطة التي سوف يتحركون على ضوءها .. وهي تتوهج حماسا ..

وجاء أحد العمال إلى أمل وقال لها :

- **الآن سوف نطلب أن يرسلوا لنا الوجبات .. وإلى أن تصل .. علينا أن نصف الطاولات .. ومن حولها الكراسي .. مائتي طاولة .. حول كل منها أربعة كراسي ..**
- **سوف يعاونكم الجميع .. ولن تحتاجوا وقتا إضافيا عند وصول الوجبات ..**

ووجهت الحديث لجميع الحضور ..

- **هيا يا شباب .. أريد الطاولات والكراسي قد أعدت في خلال دقائق قليلة.. ولنساعد بعضنا بعضا .. وليكن هذا يوما نسعد فيه معا ..**

ووصلت الوجبات .. وتم توزيعها على الطاولات .. أربعة لكل طاولة ..

وخرج جميع الحضور من السرادق .. لم يبق منهم أحد ..

وطلبت أمل من والدها الحضور .. وأيضا محمد و علي

ووقفت معهم فرح ومصطفى ودينا ..

ووجه أبوعلي الحديث لجميع الأولاد المتواجدين ..

- هيا يا أولادي .. فلتدخلوا بانتظام إلى داخل السرادق .. ولا تدافع .. جميعكم سوف تجدون نفس الفرصة .. وليجلس كل أربعة أولاد إلى طاولة .. ثم التي تليها .. إلى أن تجلسوا جميعا .. فلكل واحد منكم مكانه ..

ولدهشة فرح .. دخل الجميع في توالي .. لا تدافع .. لا تسابق على مقعد ..

وما أدهشها أكثر .. هو تنحي الكبار عن المشهد .. جميع الآباء والأمهات وحتى الأخوة الكبار .. تنحى الجميع ..

وكأنهم يتركون فرصة العمر لأولادهم لتناول وجبة .. لم تكن يوما في مجال أحلامهم !.

وتبقت بعض الأماكن خالية .. فمنع الحياء الكبار من الدخول إلى السرادق لشغلها .. إلا أن أبوعلي لم يترك الخجل ليكون سيد الموقف ..

فبدأ يدخلهم واحدا واحدا .. حتى انشغلت كل الأماكن ..

وفغر فاه فرح .. ونادت أمل قائلة في دهشة :

- ما هذا المشهد الرائع .. الرهيب .. الذي أراه يا أمل ؟!
- أي مشهد يا فرح ؟!
- تخيلي !! .. لا تسارع .. لا تدافع .. لا تكالب .. والكبار يتركون الصغار يهنئون بوجباتهم .. و لا يزاحمونهم ..
- تعلمين يا فرح أن أهل الحي فقراء في الغالب .. ولكننا لا نخلط بين الفقر .. وبين عاداتنا .. فلم يفقدنا فقرنا حب الكبير للصغير وعطفه عليه .. كما لم يفقدنا احترام الصغير للكبير

وتقديره .. وهذا هو ما يجعلني أعتقد أننا سوف ننجح في مسعانا لتوجيه أهل الحي جميعا للخير ونعيد إليهم ما فقدوه من ثقة بالنفس .. ونخلصهم من الاحساس بالظلم .. حتي يكونوا أسوياء ..

- **يبدو أنني سوف أتعلم منكم كل يوم شيئا جديدا يا عزيزتي .. وانقضى الوقت سريعا .. وأكل الجميع .. وشربوا .. واحتفل أهل الحي بمناسبة إعلان خطوبة محمد وأمل .. وكانت أسعد أيام الحي .. طبل .. رقص .. غناء ..**

حتى المخدرات .. كان لها نصيب من هذا الحفل !! .. ففي مثل هذه المناسبات .. يجد موزعو المخدرات فرصتهم الجيدة في زيادة التوزيع .. ولذا فالمرء يستطيع أن يميز روائحها في كل مكان حول السرادق ..

لقد أصبحت تجارة المخدرات .. وتعاطيها .. من سمات هذا الحي ..

فموزعو المخدرات يجدون في الأحياء العشوائية البيئة الحاضنة والجيدة لتوزيع سمومهم .. حيث أنهم اعتادوا أن يفرضوا سطوتهم بعيدا عن أنظار الشرطة .. ثم أن كثرة الأولاد الفقراء والراغبون في كسب العيش لإعالة زويهم توفر لهم المساعدين والمعاونين .. وحتى منهم الناضورجية .. وصغار الموزعين ..

والحكومة أصلا غائبة عن هذه الأحياء .. وكأنها لا تمثل لهم أية مشكلة .. وكأنها لا تفرخ لهم الإرهابيين .. ولا تسبب لهم

الجرائم التي لا يمضي يوم دون أن يكون هناك جرائم جنائية .. بعضها يهز أي مجتمع متحضر واعي .. والكل ينسى مع مرور الوقت ..

ومضى الوقت ..

ونحى العمال الطاولات جانبا خارج السرادق .. وأعادوا تنظيف المكان لإعداده لاستقبال الضيوف والمهنئون ..

وطبعا الحاج حسن وبعض أعضاء الجمعية الخيرية .. وأحد الفنانين من أصدقاء الحاج حسن .. المهتمين بإعادة تنظيم وبناء العشوائيات .. وإعادة تأهيل شبابه .. وكان في انتظار واستقبال الضيوف العشرات من شباب الحي .. الذين تخرجوا من الجامعات المختلفة .. وأيضا الذين أتيحت لهم الفرص للعمل في وظائف مرموقة .. ومنهم من حصل علي درجات علمية مميزة ..

وفي البداية رحب أبوعلي بالأخوة الضيوف .. وبصفة خاصة الحاج حسن .. وأثنى على ما قدمه اليوم من كرم حاتمي لكل أهل الحي .. مما أثلج صدور الجميع .. وأسعدهم .. حتى أن اليوم أصبح من العلامات المميزة لأهل الحي .. وأنه .. ونيابة عن الجميع .. يقدم له الشكر والتحية ..

وبعد أن فرغ من كلمته سلم المايكروفون إلى فرح .. التي قالت :

- **نحن الآن في انتظار كلمة الحاج حسن .. حيث يزف بنفسه الأخبار الطيبة التي يحملها لأهل الحي .. ويبشرهم ببداية**

جيدة في طريق الحد من معاناة أولادهم وبناتهم وشيوخهم .. وهي خطوة من ألف خطوة .. ولكل طريق بداية .. وستكون النهاية طيبة بإذن الله .. بتضافر جهودكم .. ورعاية أهل الخير .. من أمثال الحاج حسن.. وهم كثيرون .. حتى الحكومة .. سوف نسبب لهم الصداع بكل الوسائل المتاحة والممكنة .. وطبعا في إطار الوسائل الشرعية .. لكي نقول لهم .. نحن هنا .. نحن جزء منكم .. نحن جزء من مصر .. نحن نحب مصر .. نحن ننتمي لمصر .. نحن جزء من سكان مصر .. نحن جزء من اقتصاد مصر .. فلا تتركوا سكان العشوائيات الذين يفقدهم الفقر كرامتهم .. وصحتهم .. وآدميتهم .. ولا تتركوا صدور أولادنا نهبا لمرض السل .. فإنه أقرب إلينا من مرض الإنفلونزا .. بسبب البيوت الضيقة .. وكثرة الأعداد وتزاحمها داخل كل غرفة .. والشوارع الضيقة . . و قلة الحيلة .. وقلة الخبرة بالوقاية .. ناهيك عن مرض الكبد الوبائي .. الذي يحصد أهلنا .. وينهك شيوخنا .. وحتى شبابنا .. ويقعدهم عن العمل .. مما اضطر أبناءهم إلى تبديل الأدوار في أخطرالمواقع .. فالإبن أخذ دور الوالد .. في العمل وكسب الرزق لإعالة الأسرة .. والأب .. المغلوب على أمره .. المهزوم .. أخذ دور الإبن في النوم في البيت كرها .. لنحالة جسده الذي هزمه المرض .. حتى يأتي ابنه بتكاليف إعالته .. وإعالة باقي أفراد أسرته ..

أما عن الحشرات .. والفئران .. والثعابين .. والكلاب .. والقطط ..

فحدث ولا حرج ..

قد أحتاج إلى وقت أطول .. وأطول .. للحديث عن معانات أهل هذا الحي !

ومع ذلك أحب هنا أن أنبه الحكومة إلى شيء إيجابي .. فلا الأب فقد حبه وولائه لمصر .. ولا الإبن فقد انتماءه لهذا البلد .. ولكنني من هنا .. من هذا الحي .. أرسل صرخة إلى المسئولين ..

الحقونا .. الحقونا .. ولا تتمادوا .. ولا تعولوا على صبرنا .. فالقنابل الموقوتة إذا حل موعد انفجارها .. فلن تبقي .. ولن تذر .. وحينئذ .. سيكون الأوان قد فات .. وسيكون الطوفان أكبر من الجميع ..

وفي أحيان كثيرة .. لا يفيد الندم !!

والآن نرغب في سماع الحاج حسن .. فليتفضل .. وليعرض بنفسه ما قد يكون لديه .. فليتفضل مشكورا ..

وأخذ الحاج حسن المايك من فرح مبتسما .. وقال :

- **لم تترك لي فرح ما أضيفه عن أهل الحي .. إلا أنها قد أدمت قلوبنا .. وهزت مشاعرنا .. ولكن الجانب الإيجابي لكلماتها .. أنها من المؤكد قد ألهبت حماسنا جميعا من أجل إسعاد أهل هذا الحي الطيبين .. ولذا لن أطيل عليكم .. فمن خلال جهودي الشخصية .. ومن خلال جهود جمعية مصر للتنمية البشرية .. وهي جمعية أهلية غير حكومية .. اقتحمت مجال**

العمل المجتمعي .. والعمل الخيري من أجل الأحياء العشوائية .. ومن أجل شبابنا ..

كما أنني أعدكم بأن أحاول عن طريق كل أصدقائي .. الذين لهم دراية بالعمل الإعلامي .. والميديا عموما .. أن نعيد تسليط الضوءعلى آمالكم .. وآلامكم .. ومعاناتكم ..

أما آلية العمل معكم من خلال الجمعية .. فسوف أترك لأخي الأستاذ جلال حافظ يشرح لكم ما سوف تقومون به جميعكم .. فالعمل جماعي .. ولن يقوم به شخص بمفرده .. فليتفضل الأستاذ جلال ..

ووقف الأستاذ جلال على المنصة .. وبدأ حديثه متفائلا .. حيث قال :

- **أبشركم خيرا .. وهذه الكلمة .. لم ترد إليكم من فراغ .. بل هي انطباع مباشر .. جيد .. ولده لديّ كل ما رأيته .. وكل ما لمسته من صدق المشاعر .. والحب .. والإنتماء للحي .. والسلوكيات الطيبة.. الجميلة .. التي تحكم العلاقات المتبادلة بين أهل الحي .. كباراوصغارا .. فتحية إكبار لأهل الحي ..**

والآن .. دعونا نبدأ العمل الذي جئنا من أجله ..

أرجو أن يقف عشرة متطوعين من شبابكم .. فتيان وفتيات .. سوف نبدأ بهم .. فليتفضلوا بالوقوف .. ويملون بياناتهم التي يطلبها منهم السيد حمدي ناصر ..

وما هي مهمة هؤلاء المتطوعين ؟!..

إنها بداية عملنا ..

.. حيث عليهم أن يجمعوا لنا بيانات نفرغها في قاعدة بيانات عن أسر الحي .. عن الأب .. الأم .. الأبناء .. الأعمار .. العمل لكل من يعمل .. الدراسة .. المدرسة .. الجامعة .. الدخل .. الأميون ..

وغيرها مما قد يطلبه منكم السيد حمدي من بيانات ..

والآن .. مطلوب عشرة متطوعين أخرين .. ولكن تمهلوا .. فهؤلاء العشرة سوف يتطلب الأمر مواصفات خاصة يجب توافرها في كل متطوع .. طبقا للنشاط المطلوب منه القيام به .. وسوف يكون على رأس لجنة سوف يقوم هو شخصيا باختيارها من بين أهل الحي الذين سوف يساعدونه في المجال الذي سوف يختاره حسب قدراته .. وامكانياته الشخصية ..

والآن .. أقول لكم ما هي هذه الأنشطة .. وعلى أي متطوع أن يتأكد من أنها تناسب إمكانياته وقدراته الشخصية .. النشاط رقم واحد .. سوف نقسم أولادكم الذين يبحثون عن عمل إلى أنشطة .. نجارة شباك .. نجارة موبيليا .. سباكة .. كهرباء .. تبريد .. وغيره .. وغيره ..

هذه المجموعات سوف يتم تدريبها وارسالها إلى مصانع صغيرة و ورش فنية .. تم الإتفاق معها مبدئيا .. وسوف يتم تعيين من يصلح للعمل فورا .. والباقون سوف يتم إعادة تأهيلهم مرة أخرى وارسالهم الى مصانع أخرى ..

أما النشاط الثاني .. التنمية البشرية في مجال الكمبيوتر

.. وأيضا فرص العمل متوافرة ومتفق عليها منذ الآن .. لمن يتمكن من التدرب على مجالات مختلفة من مجالات الكمبيوتر المتعددة .. سواء البرامج .. أو الصيانة .. أو الشبكات .. أو خلافه ..

أما النشاط الثالث .. فهو الإنتر نت .. وهو عمل مشوق .. سوف يدر دخلا جيدا لمن يبرع فيه ..

أما النشاط الرابع .. فهو دراسة تكاليف الزواج للشباب والفتيات .. الذين يرغبون في الزواج .. ولكن ضيق ذات اليد يقف حائلا بينهم وبين تحقيق هذا الحلم .. وبصفة خاصة للأيتام .. فهم لهم الأولوية ..

أما النشاط الخامس .. حصر الأميين .. وعمل برنامج لمحو أميتهم وتأهيلهم لأي عمل بسيط يرغبون في ممارسته ..

والنشاط السادس .. حصر الأسر التي تحتاج إلى المساعدة .. وتوصيل المساعدات الكريمة إليهم دون إيذاء مشاعر أي أسرة .. سواء هذه المساعدات مالية .. أو عينية .. كأن تكون ملابس .. كتب دراسية .. أدوات مدرسية .. أوغيرها ..

النشاط السابع .. وهذا سوف يتطلب مجهودا أكبر .. لأنه سوف يكون في معظمه من خارج الحي .. وهو البحث عن الأسر التي تلقى في القمامة الأدوية التي تتبقى لديهم بعد شفاء مرضاهم .. بعد تناول نصف الجرعة أو حتى ربعها .. فليس من الإنسانية .. أو المنطق .. أن يلقي أحد دواء في

القمامة .. بينما يكون أحد غيره في حاجة ماسة إليه للشفاء .. أليس من حقه أن يشفى هو الآخر ؟! ..

النشاط الثامن .. رعاية المسنين .. فقد تم الإتفاق مع العديد من دور رعاية المسنين .. على أن يتقاضوا مبالغ مخفضة .. وحتى هذه المبالغ سوف تدفعها الجمعية بدلا من شيوخنا المسنين .. لكي نضمن راحتهم و كرامتهم .. بعد أن أفنوا عمرهم في خدمة هذا المجتمع .. فليس أقل من أن نرد لهم الدين .. فقد سبق وأن دفعوا الثمن ..

النشاط التاسع .. الرعاية الصحية للجميع .. من غير القادرين ..

فلقد تم بعون الله الإتفاق مع الكثير من الأطباء الرحماء في مجال معظم الأمراض .. وسوف يتقاضون نصف قيمة الكشف .. وحتي النصف الآخر .. سوف تقوم الجمعية بسداده .. بعد أن تم الإتفاق مع الكثيرين من رجال الأعمال الذين وافقوا على تمويل هذا المشروع العلاجي الإنساني ..

أما النشاط العاشر .. فأنتم أبطاله .. وسيكون دوركم أيها الشباب لكي تردوا الجميل لهذا الحي الذي تحبونه وتفخرون بالإنتماء إليه .. ألا وهو .. الحفاظ على بيئة نظيفة .. الحفاظ على نظافة الحي .. وسوف تجدون الجمعية إلى جواركم في امدادكم بكل ما تحتاجون إليه من أدوات .. ومواد .. وعدد .. وخامات .. ومشورات .. وسوف نكون بجانبكم في مواجهة المجلس البلدي .. في أي تقصير يبديه .. ونصعد الأمور إلى

أبعد الحدود معهم .. حتى يمدوا لكم يد العون .. وسوف نكون دائما على تواصل معكم .. وأشكركم جميعا ..

وتناولت أمل المايك .. إذ كان لديها ما تضيفه .. وتلقي عليه الضوء .. قالت :

- **لا زال لدينا ما نود أن نطلبه من الحاج حسن .. فلقد فتح لنا قلبه بالمساعدة .. ففتحنا له ملفات ثقيلة .. تراكمت بتراكمات السنين .. وكلنا أمل في أن يضيفها إلى كل ما أثقلنا عليه به من ملفات .. عجزت الحكومات المتعاقبة عن اقتحامها .. فإذا بالحاج حسن .. وفي كرم شديد .. وفي جرأة نادرة يقتحمها جميعا .. فأرجو أن يتسع صدره لتناولها معه ..**

فقال الحاج حسن متواضعا ..

- **لا يا آنسة أمل .. لم تثقلوا عليّ .. فلن أعمل وحدي .. فمعي بعض رجال الأعمال المحبين لمصر .. الراغبين في أن يبارك المولى عز وجل في أموالهم .. بالعمل المجتمعي وفعل الخير .. وأيضا معنا الجمعية ..**

كما لا ننسى بعض الفنانين الذين يرون أن رسالتهم لا تكتمل بمعزل عن أهلهم البسطاء الذين ينتظرون منهم الكثير والكثير من فعل الخير .. ولذا هاتِ ما عندِك .. دون حرج .. فما استحق أن يولد من عاش لنفسه ..

وكانت أمل تنتظر منه هذه الكلمات المشجعة .. ففتحت الملفات المغلقة .. قالت :

- **نشكر لك جودك .. وسعة صدرك .. أما الملفات الصعبة**

فتبدأ بملف أولادنا الذين قادتهم الظروف .. إلى الإدمان .. ولدينا الكثيرين منهم .. الذين يرغبون في إعادة تأهيلهم .. بالعلاج العلمى الصحيح ومن خلال عيادات إعادة التأهيل الرسمية .. حتى ينخرطوا في العمل الصحيح مع أقرانهم .. أو يتابعون تحصيل دروسهم .. وينهون دراستهم .. وأما الملف الثاني فهو ملف المعوقين .. فهم غير قلة.. وهم الأولي بالرعاية ..

أما الملف الثالث .. فإنه يأتي من باب الطمع .. !! .. فكل هذا الشباب الذي تراه .. ليس لديهم نادي يزاولون فيه أية أنشطة .. رياضية كانت أو اجتماعية .. ويفرغون طاقاتهم في ما قد يفيد البلد ويفيدهم على المستوي الشخصي .. وأشكرك بالأصالة عن نفسي .. وبالنيابة عن كل أهل الحي .. بل بالنيابة عن الإنسانية .. ولن ينسى لكم التاريخ هذا اليوم الذي حفرته بكرمك في وجدان كل أهل الحي ..

والآن فليتناول مني أي أحد المايكروفون قبل أن أسترسل في فتح ملفات وملفات .. فالملفات هنا لا تنتهي .. ولا حصر لها .. ولا حرج ..

وتقدم الفنان أحمد صبحي .. وصعد إلى المنصة .. وتناول من أمل الميكروفون قائلا لها :

- **أشكرك .. أحسنتِ ..**

ثم وجه حديثه للحضور .. قائلا :

- **لقد تناول الجميع ملفات التنمية البشرية .. تنمية**

الإنسان .. ورعايته .. أما ملف تنمية وإعادة تأهيل وإعادة بناء المساكن .. البيوت .. الشقق التي تستحقون أن تقيموا فيها وتحيون حياة كريمة .. فهو الملف الذي جئنا من أجله.. ومعي بعض الفنانين .. ورجال أعمال .. خلصت نواياهم تجاه هذا المجتمع .. ودرسنا إمكانية إعادة بناء الكثير من البنايات السكنية بإذن الله .. ولذا فأنا هنا لكي أزف لكم هذه البشرى بإذن الله ..

ومن فرط سعادتها .. قفزت فرح قفزا لتعتلي المنصة .. وأخذت المايكروفون .. وأخذت تصيح :

- **الله أكبر .. الله أكبر .. فلتحيا مصر.. ولنفتخرجميعا بهؤلاء الذين حضروا اليوم لكي يعلنوا لنا أننا لسنا وحدنا .. ولنذكر جميعا هذا اليوم في حياة هذا الحي .. ولنذكرجميعا رجالا أوفياء جعلوا من الحاج حسن رمزا لهم .. وأوجه حديثي لك يا حاج حسن .. فلقد استطعت خلال يوم واحد أن تخطف قلوب كل أبناء هذا الحي .. وأن تفوز بحبهم ..**

وبتواضع جم .. قال الحاج حسن :

- **بل علينا نحن أن نشكر لهم صبرهم .. وعلينا أن نشعر بالخزي من أنفسنا أن يكون بيننا من يكون هذا حاله !!**

ثم تمتم .. وكأنما يحدث نفسه ..

بل يكفيني قلب واحد فقط من بين قلوب أهل الحي .. فلن أكون أقل منكم صبرا .. حتى أحصل عليه !..

وكان يوما رائع الوقع على حي قلعة الكبش .. ولم يشعر أهله بهذا القدر من السعادة .. والأمل الذي تجدد .. في أن تحدث معجزة ما .. وينصلح حال أهل الحي .. فهو حقا يحتاج إلى معجزة ..

واقترب ابراهيم " شنب " من الحاج حسن وهمس له قائلا:

- **باقي شهرين على الإدلاء بأصوات الناخبين لمجلس النواب .. هنيئا لك الفوز يا حاج ..**

فقال له مؤكدا ثقته في ما قال ..

- **هذا الشباب المتحمس سوف يدفعني دفعا للعبور من باب المجلس .. ويقدم لي فوزا ساحقا ..**
- **هذا إذا استطعنا توجيهه جيدا في الحملة الإنتخابية ..**
- **وما فائدتك إذن يا " شنب " .. إذا لم تفعل هذا ..**
- **سوف يحدث .. لا تقلق ..**
- **لا تخرج من هنا قبل أن ترتب لي موعدا مع أمل وعلي ومحمد .. فسوف أنتظرهم غدا في مكتبي بالمعرض الساعة السابعة مساء .. بعد صلاة المغرب .. مفهوم ؟!**
- **مفهوم يا حاج .. مع السلامة ..**

obeikan.com

الفصل التاسع

إبليس

- ما شاء الله ولا قوة إلا بالله .. ما كل هذه الأبهة .. هل أحلم ؟

قال محمد ذلك عندما دخل معرض السيارات الخاص بالحاج حسن .. وشاهد السيارات الفخمة .. والديكورات عالية الذوق ..

- ما شاء الله .. ما شاء الله .. الله يزيدك يا حاج حسن .. تستحق حتي أكثر من ذلك .. معرض رائع وسيارات أروع ..

وأيدت أمل رأيه في مدى جمال المكان .. قائلة :

- وماذا تقول إذن إذا دخلت شقة فرح أو باقي العمارة .. لقد جعلتني فرح أطوف معها لرؤية مظاهر الأبهة حقا .. ربنا يزيدهم ويبارك لهم ..

وجاء صوت " شنب " يوقظهم من هذا الحلم ..

- مرحبا بأحلى شباب .. أهلا بكم .. سوف يأتي الحاج حسن في لحظة .. ماذا تشربون ؟ .. لقد أحبت الآنسة أمل العصير الفريش المرة السابقة .. سوف يصل لكم العصير فورا ..

وإن هي إلا بضع دقائق .. حتى وصل الحاج حسن .. الذي بادرهم معتذرا :

- سامحوني .. لقد جعلتكم تنتظرون .. وتملون ..

- **كلا .. كلا .. وحتى لو انتظرنا .. فالمكان هنا كفيل بأن يبدد الملل .. نحن بالمناسبة ننقل لك شكر وتحيات أهل الحي جميعا ..**

قال محمد ذلك وهو يحاول أن يخرج من سيطرة المكان على خياله .. وكأنه يريد أن يتحدث ليعود من شروده ..

وفاجأهم الحاج حسن قائلا :

- **أنت بكالوريوس تجارة .. اليس كذلك يا محمد ؟**
- **نعم يا حاج .. هذا صحيح .. بتقدير جيد جدا .. الحمد لله ..**
- **وأمل .. ليسانس أداب .. لغة انجليزية ..**
- **نعم ..**
- **هل هناك عمل ينتظركما ..**
- **بالطبع لا .. اللهم إلا بعد شهور وشهور من البحث المضني .. وربما أطول من ذلك ..**
- **حسنا .. لقد درستم أن كل شيء نسبي .. وأن الزمن نسبي ..**

قال الحاج حسن ذلك ضاحكا .. وهو يحاول مداعبتهم .. لكي يكسرالحاجز بينهم .. ويخرجوا جميعا من جو الرسميات ..

وابتسمت أمل ومحمد وعلي .. ولو أنهم لا يعلمون إلى ماذا يرمي !!

أردف الحاج حسن ..

- **لقد انقضت الشهور الآن في ثواني .. وعثرتم على عمل ..**
- **!!**
- **!!!**

الغموض .. مع الدهشة .. مع المفاجأة .. أسكتت أمل وعلي ومحمد ..

وأضاف الحاج حسن :

- **نعم .. فإذا وافقتم على العرض الذي أقدمه لكم .. فسوف يتحقق ما ذكرت لكم الآن .. وتبدأون العمل من الغد ..**

لا زال السكون هو سيد الموقف ..

ولذا اضطر الحاج حسن أن يتابع حديثه ..

- **أمل .. أريدك أن تنظمي لي العمل هنا بالمعرض .. وتديري شئون المعرض .. وأنت يا محمد .. هل لديك مانع من العمل في الإسكندرية ؟! فقد تحدثت مع شريكي الأستاذ أمجد .. وهو شريكي في معارض الإسكندرية .. ورشحت له محمد لإمساك الدفاتر والحسابات هناك .. في الإسكندرية .. ولقد رحب كثيرا .. خاصة بعد أن تدخلت أختي فرح .. فأنت يا أمل تعلمين أن أمجد خطيب فرح .. وأذيع عليكم سرا ربما أن فرح لم تقله لك يا أمل .. فإن زفافهما سيكون بإذن الله الشهر القادم ..**

قالت وكلها دهشة .. وذهول :

- **يبدو أنك بئر من المفاجآت يا حاج حسن .. لا يكاد المرء يفيق من مفاجأة .. حتى يجد نفسه أمام مفاجأة أعمق ..**

وضحك الجميع ..

وعلق الحاج حسن موجها الحديث إلى أمل :

- **وأنت يا أمل .. ألا تحبين المفاجآت ..؟!**

- ربنا يستر .. وتكون كلها مفاجآت من هذا النوع .. وألا تنتهي بنا إلي مفاجأة درامية ..!!
- لا قدر الله .. وحتى الآن .. لم أسمع منكما ..

وقالت أمل وابتسامتها العريضة تشع بشرا .. مع تالق عينيها ببريق يفقد حسن دائما توازنه .. مما يجعله على استعداد أن يفعل من أجلها المستحيل :

- ولكن .. أليس الزمن نسبي بالنسبة لأخي علي أيضا ؟!

وضحك الحاج حسن ضحكة عالية .. وقال مداعبا :

- أه .. إنت داخلة على طمع بقى يا أمل !!

ومرة أخرى يعود الجميع للضحك .. وتسود المكان روح عالية من التفاؤل .. والبهجة ..

فأضاف الحاج حسن :

- ولا يهمك يا ست الكل ..

وطلب أحد أصدقائه في الهاتف الخلوي ..

- ألو ..
- مرحبا بك يا حاج حسن ..

وهمس الحاج حسن وهو يشير بوجهه إلى علي يسأله :

- محاسب برضه .. ماشي ؟!

فأومأ علي بالموافقة ..

- أستاذنا الغالي .. كيف حالك يا أستاذ جمال ؟!
- الحمد لله يا حاج حسن .. كيف أحوال دينا و مصطفى ؟!
- الحمد لله .. إنهما بخير .. ولو أنهما يتذكران أمهما

طوال الوقت .. إلا أن عمتهما .. أختي فرح .. ترعاهما وتفرغ نفسها لإسعادهما .. ربنا يبارك فيها .. لن أطيل عليك .. لديّ شاب ملتزم .. وخلوق .. وخريج جديد .. أريده أن يعمل لديك في مكتب المحاسبة هنا في السيدة زينب .. فأنا لا أريده أن يعمل في مكان بعيد .. وأنا أعلم أنه لديك أكثر من مكتب .. في أكثر من حي ..

- **و أنا عند حسن ظنك بي يا حاج حسن .. ولا أحد يرد لك طلبا .. أرسله .. وأبشر ..**
- **أشكرك يا أستاذ جمال .. وسوف أضيف هذا إلى أفضالك الكثيرة ..**
- **العفو يا حاج حسن .. مع السلامة ..**

وبدا الإشراق على وجه الجميع .. وقالت أمل مهللة :

- **إذن فثلاثتنا أصبحنا من أصحاب الوظائف الهامة !!**

وأجابها حسن .. الذي كان فرحا بقبولهم العمل على هذا النسق .. بل كانت فرحته تفوق فرحتهم !

- **والبداية من غد بإذن الله .. ألا يوجد لديكم استفسارات عن شروط أو مرتبات أو خلافه؟ ..**
- **ليس بيننا وبينك يا حاج حسن شروط .. فنحن معك .. وراضون بما تقرر.. ولكن أنت تعلم يا حاج حسن .. إنني لا خبرة لي بالسيارات .. ولا البيع في معارض السيارات .. ولا حتى إدارة المعارض ..**

قال الحاج حسن واثقا من محدثته :

- ما أعلمه أيضا يا أمل أنني لا أستطيع أن أدربك على الأمانة .. ولا أستطيع أن أدربك على الإخلاص في العمل .. فإذا كان كل ذلك متوفرا بك .. وأنا على يقين بأنه متوفر .. فما أسهل من تدريبك على إدارة المعرض ..
- أخجلتنا بلطفك يا حاج حسن .. وأشكر لك هذه الثقة الغالية والتي تعد عبئا على كاهلي .. أكثر ما هي مديح لشخصي الضعيف ..

ونهضت في محاولة للانصراف .. وهي تشير للجميع بأن كفى .. ولنستأذن :

- والآن .. هل تسمح لنا بأن نطير طيرانا .. لكي نزف هذه البشرى إلى الأهل .. بل إلى الحي كله .. كي لا يناموا الليلة من الفرح .. ومن السعادة التي غمرتنا بها منذ أن إلتقيناك ..

وكأنه قد تذكر شيئا .. فقد قال الحاج حسن :

- بمناسبة أهل الحي .. دقيقة واحدة ..

وأمسك التليفون الخلوي .. وطلب حمدي .. مسئول المساعدات العينية بالجمعية ..

- ألو ..
- أهلا بك يا حاج حسن ..
- قول لي يا أستاذ حمدي .. كم كرتونه مواد غذائية تم إعدادها من أجل حي " قلعة الكبش " ؟
- لقد تم تجهيز خمسمائة كرتونة يا حاج .. وهي جاهزة للتوزيع .. فإلى من نرسلها ؟!

- أرسلها غدا للآنسة فرح .. وهي سوف تتولى تسليمها مع أمل للشباب الذين تم اختيارهم من المتطوعين لكي يقوموا بدورهم بتوزيعها على الأهالي .. شكرا ..

ووجه حديثه لأمل ..

- سوف تحضر لك فرح غدا خمسمائة كرتونة من المواد الغذائية الجيدة .. للأسر التي تم حصرها من المحتاجين إلى المساعدات العينية .. أرجوك يا أمل .. هذه الكراتين يتم توزيعها على الأسر .. في بيوتهم .. بكل كرامة .. كفى إهدارا لكرامة الأسر المحتاجة .. وأنا أعلم مسبقا أنك ستفعلين ذلك .. وأنكِ أكثر مِنّي حرصا بهذا الشأن.. والآن أترككم تذهبون في رعاية الله .. وهذا ابراهيم .. سوف يقوم بتوصيلكم إلى البيت ..

واسترسل موجها الحديث إلى إبراهيم ..

هيا يا ابراهيم .. حلل مرتبك .. من ناحية .. واكسب ثواب من ناحية أخرى .. فلعله يزحزحك عن نار جهنم !

واقترب منه ابراهيم هامسا في خبث .. وقال :

- منحت أمل وظيفة هنا إلى جوارك .. وأرسلت محمد خطيبها إلى الإسكندرية .. لقد ازداد عدد العصافير التي تم اصطيادها بحجر واحد !! .. إن إبليس نفسه لن يفكر هكذا ..

فأجاب الحاج حسن بصوت غير مسموع إلا لإبراهيم :

- هيا .. هيا .. ولا تهذي .. وبعد أن تقلهم إلى البيت .. عُد إليَّ مُسرعاً .

الفصل العاشر

قتلت أولادي

كانت السعادة تبدو على بسطويسي عندما دلف إلى المعرض .. وكان الحاج حسن في إنتظاره ..

- **صباح الخير يا حاج حسن ..**
- **صباح الخير يا بسطويسي .. تعالى ..**

كان بسطويسي هو الذراع الأيمن الجديد للحاج حسن .. والذي تم الإتفاق معه ليحل محل " شنب " ..

- **أوامرك يا حاج ..**
- **إسمع يا بسطويسي .. إنني أريد غدا عملية نظيفة .. لا تترك أثرا وراءك .. لا تترك شيئا للاحتمالات .. أريد أن يعود ابراهيم غدا من الإسكندرية إلى المقابر .. ولا أريد إسمك .. ولا إسمي .. يزج به في هذا الموضوع .. مفهوم ؟!**
- **مفهوم يا حاج .. ستكون أشلاء السيارة نفسها متناثرة في كل مكان ..**
- **غدا .. سوف أرسله لكي يحضر محمد من الإسكندرية .. بعد أن يصل إلى المكتب عند أمجد .. تحرك .. وابدأ ترتيباتك .. وراقب الأوضاع من بعيد .. لا أحد يراك ..**
- **إذن سيكون محمد معه في السيارة ..**
- **وماذا في ذلك .. قَدَره .. إن معظم العمليات يقع فيها ضحايا ..**

وتذكر حسن مقتل والده .. وكيف قُتِلتْ زوجته .. في ذلك المشهد الرهيب .. وكانت ضحية .. ماتت لمجرد صدفة أوجدتها مع والد زوجها في هذه اللحظة الرهيبة .. في المكان الخطأ .. والزمان الخطأ ..

وبدلا من أن يهز مقتل زوجته مشاعره .. ويفيق ضميره من الغِيّ والجبروت .. فيرفض قتل الضحية .. وهو محمد .. بل ويلغي العملية الشريرة كلها .. أصر أن يقتله .. وكأنه ينتقم من محمد لمقتل زوجته !.. كما ينتقم من إبراهيم على خيانته للأمانة .. وخيانته للثقة التي أولاها له الحاج حسن .. وأبوه من قبله ..

فقال لبسطويسي .. مستهترا بمشاهد الموت المريعة :

- **وماذا في ذلك .. قدره .. إن معظم العمليات يقع فيها ضحايا ..**
- **فليكن .. هل هذا هو كل شيء يا حاج ؟!**
- **لا أريد أن أكرر .. لا احتمالات .. ولتعلم .. إن هذا المكان الذي وضعتك أنت فيه يا بسطويسي ليس من السهل الوصول إليه .. فعد له غدا سالما..**
- **سأفعل .. بالإذن ..**

لقد تم تحديد الموعد إذن ..

التخلص من الشريك في الحب ..

والتخلص من الشريك في العمل ..

ومع الأيام .. وبالهدايا .. وبالمعاملة اللطيفة .. ستنسى أمل .. وعليَّ أن أدفعها إلى ذلك دفعا .. ولن تجد إلا قلبي

مفتوحا لها .. ولن يضمها إلا حضني .. والصبر جميل .. هكذا يقولون ..

ولم يستحِ من ربه ..

فناجى ربه :

- **يا رب استر غدا ! وهون عليّ باقي الأيام !!**

وأفاق من شرود ذهنه على رنين الموبايل ..

وكان أمجد على الطرف الآخر من الخط ..

- **أهلا .. أهلا يا أمجد .. كيف أحوالك يا عريس ..**
- **بخير يا حسن .. الحمد لله .. ولم يبق من طلبات الفرح إلا القليل ..**
- **مثل ماذا ؟! ..**
- **أشياء بسيطة .. سوف تأتي فرح غدا إلى الإسكندرية لشراءها .. ملابس وهلم جرا..**
- **أجل .. ففرح خبيرة مشتريات ..**
- **من يذكر اسمي ؟! ..**

قالت فرح ذلك وهي تهم بالجلوس .. بعد أن دخلت المعرض وسمعت هذا الجزء من الحديث ..

- **مع من تتحدث يا أخي العزيز ؟!**
- **إنه أمجد .. يقول أنك سوف تشترين غدا باقي أغراضكم الخاصة بالفرح من الإسكندرية ..**

ووجه حديثه لأمجد لكي يخبره أن فرح وصلت الآن ..

- **انتظر معي يا أمجد .. فها هي فرح قد وصلت ..**

قالت فرح تؤكد على حديث أمجد ..

- بإذن الله .. فقد اتفقنا على ذلك ..

- وماذا عن مصطفى ودينا ..

- ألا تريد أن أتركهم في رعاية ماما غدا ؟!

- انني أرى أن ماما قد نال منها التعب في الأيام الأخيرة من كثرة متطلبات الفرح ..

- سوف أصطحبهما معي إذن .. لا مشكلة في ذلك ..

- حسنا .. أكملي أنت الحوار مع أمجد وأخبريه إذن ..

وأخذت فرح الموبايل ووجهت الحديث إلى أمجد ..

- حبيبي ..

- كيف أحوال حبيبة قلبي ..

- الحمد لله يا أمجد .. ولقد اتفقت مع حسن أن أصطحب غدا معي مصطفى ودينا .. إلى الإسكندرية ..

- لا مانع يا حبيبتي .. ولكن .. ألن يعوقا تحركاتك .. فما رأيك إذن في أن تحضري معك أمل .. فسوف تجعل الأمر أسهل وتعينك وترعاهما .. إنه اقتراح .. سوف يكون الوضع جيدا .. إذا وافق حسن .. ثم إذا وافقت هي أيضا .. فعليك تدبير هذا الأمر..

- إنه اقتراح جيد يا أمجد .. ولن يمانع حسن ..

فقال حسن ..

- لن أمانع في ماذا ؟! .. ماذا تدبرون ضدي ؟! ..

- لا ندبر شيئا ضدك .. إنك من يفعل !

- أنا أفعل ماذا ؟
- ألم تطلب مني اصطحاب مصطفى و دينا ..؟
- أجل .. وماذا في هذا ؟
- تحمل العواقب إذن !
- ما هذه الألغاز يا فرح ؟! .. وأية عواقب ؟!
- عليك أن تتنازل عن وجود أمل معك هنا في المعرض غدا ..
- وما دخل أمل ؟!
- نعم .. فإن أمجد يقترح أن أصطحب معي أمل غدا إلى الإسكندرية .. حتى تساعدني في رعاية مصطفى ودينا أثناء الشراء .. فأنت تعلم أننا سوف نشتري الكثير من الأغراض .. ونرتاد الكثير من المحلات ..
- وإذا أنا وافقت .. فمن قال أن أمل لن تمانع ؟!
- جيد جدا .. اترك لي أنا موافقة أمل ..
- على أية حال .. وقبل أن يغلق أمجد الخط معك .. قولي له أنني أريده وأعطني التليفون ..

وتحدث إلى أمجد ..

- على فكرة يا أمجد .. كيف أحوال محمد معك ؟!
- محمد ؟ .. نعم .. إنه شاب مكافح .. جاد .. كما أنه خلوق .. ومتميز.. ولكن لماذا تسأل ؟
- من باب الطمأنينة فقط .. كما أنني طلبت من ابراهيم أن يسافر غدا إلى الإسكندرية لمقابلة بعض العملاء وتحصيل بعض المبالغ .. ثم يعرج على مكتبك .. ويحضر محمد

معه إلي القاهرة .. فأنا أحتاجه لمدة يوم واحد ثم يعود إليك .. دون تأخير ..

- **لا مانع يا حسن .. وسوف أخبر محمد لكي يستعد للسفر غدا .. حتى ينهي الأعمال التي قد لا يكون فرغ منها بعد ..**
- **أشكرك يا أمجد ..**

وفي ظهر اليوم التالي وصل ابراهيم إلى مكتب أمجد .. حسب الإتفاق مع الحاج حسن ..

و كانت الساعة تعلن الثانية عشرة ظهرا .. عندما أتى رنين موبايل الحاج حسن ليتلقفه في لهفة .. وقلق ..

- **ألو ..**
- **إنه أنا إبراهيم يا حاج حسن .. ولقد وصلتُ منذ دقائق . . وكانت الآنسة فرح والآنسة أمل قد وصلتا قبل أن أصل .. ومعهما الصغار .. مصطفى ودينا .. فلتطمئن عليهم .. وسوف أصطحب محمد معي ونعود سريعا إلى القاهرة أنا وهو ..**
- **حسنا .. حسنا يا ابراهيم .. بسرعة .. لأنني أريد محمد في موضوع هام ..**
- **لن نتأخر.. لا تغلق .. لا تغلق الخط .. فالأستاذ أمجد يريدك ..**
- **فلتعطه الموبايل ..**

وأخذ أمجد الموبايل .. قائلاً :

- **كيف أحوالك يا حسن ..**
- **الحمد لله ..**

- ألا ترغب في شيء من هنا فنشتريه لك معنا ..
- أشكرك يا أمجد ..
- مع السلامة يا حسن ..

واتجه ابراهيم إلى محمد قائلا :

- هيا بالله عليك يا محمد .. فالحاج حسن يستعجلني ..
- حاضر يا ابراهيم .. أقل من خمس دقائق .. وانتهي من تسجيل بعض الحسابات .. وأكون جاهزا للإنطلاق معك ..

وجاء مصطفى ودينا إلى ابراهيم وأمسكا بكلتا يديه قائلين :

- من فضلك يا ابراهيم .. نحن نحب الآيس كريم .. فاصحبنا معك واشتري لنا الآيس كريم .. حتى يكون محمد قد فرغ من أداء عمله ..

وتدخلت فرح .. قائلة لابراهيم :

- اشتري لهما ما يحتاجان إليه .. فلن يأخذ هذا وقتا طويلا .. فالسوبر ماركت قريب .. فقط خمس دقائق بالسيارة ..
- حاضر .. حاضر .. هيا يا أولاد .. وأرجو أن تكون جاهزا يا محمد عندما أعود ..

قال محمد :

- لن أتأخر ..

وركب الأطفال .. مصطفى ودينا .. مع ابراهيم السيارة .. وانطلق بهما .. في عجلة من أمره ..

وصاح أمجد ..

- ابراهيم .. ابراهيم ..

وقالت له فرح :

- **إن ابراهيم ذهب مع الأولاد لكي يشتري لهما آيس كريم .. وأنه سوف يعود سريعاً ..**
- **حسناً ..**
- **هل كنت تريد شيئا من ابراهيم ؟!**
- **لقد نسي معي تليفونه الخلوي ..**
- **اطلب لي حسن لكي نخبره بأن ابراهيم نسي تليفونه هنا بالمكتب .. لكي ينتظر قليلا حتى يعود .. إذا كان في حاجة إليه ..**

وأدار أمجد رقم حسن وأعطى الموبايل لفرح ..

وجاء صوت حسن مضطرباً ..

- نعم يا ابراهيم ..

- أنا فرح يا حسن .. وأحببت أن أخبرك أن ابراهيم نسي الموبايل مع أمجد .. فربما تحتاج اليه .. فإذا إحتجت إليه اتصل به بعد قليل .. ريثما يعود ..

وجاء صوت حسن حادا ..

- **وأين هو .. أين ابراهيم ؟!**
- **لقد ذهب بسيارته .. وسيعود بعد قليل ..**
- **وماذا عن محمد .. أليس معه ؟!**

ولم تكن فرح تدري لماذا يتحدث حسن بهذه الحدة .. وهذا القلق !

قالت بنفس الهدوء..

- بل معه مصطفى و دينا .. فقد طلبا منه أن .....

ولم يجعلها تكمل الحديث .. وجاء صوته كالصاعقة ..

- ابراهيم ذهب مع من ؟!

- مع مصطفى ودينا .. ما

- لا. . لالالا .. مش ممكن .. مش ممكن ..

وأبعدت فرح التليفون عن أذنيها .. فقد صرخ حسن وكأنه الزلزال ..

- ماذا بك يا حسن ؟!

- أولادي .. لقد قتلت أولادي .. أولادي يا فرح .. أولادي .. لقد قتلتهما ..

وجاء صوته باكيا .. صارخا ..

وأوقعها صوت وصراخ حسن في حيرة .. وهزها بكاؤه ..

وقالت في قلق ودهشة شديدين :

- لا أفهم !!.. ماذا ..

صوت ارتطام جسد حسن واقعا على الأرض ..

ومر الوقت .. والحاج حسن لا زال ممددا على الأرض ..

وصادف أن دخل إلى المعرض أحد العملاء ..

ولاحظ الزائر أنه لا أحد يستقبله من موظفي المعرض .. فأخذ يسأل:

- من هنا .. ألا من أحد ؟! .. ألا يوجد أحد هنا ؟! ..

وما أن دخل الزائر إلى داخل المعرض حتى وجد جثة هامدة ممددة على الأرض .. فأخذ يصيح ..

- يا ألله .. من أنت .. لا إله إلا الله ..

وإنحنى على الجسد الممدد على الأرض .. جس نبضه ..

- إنه لا زال حيا .. يا إلهي ..

وسارع الرجل إلى جار الحاج حسن .. في محلات قطع غيار السيارات المجاورة .. وقال متلعثما .. وبكلمات مبعثرة ..

- الرجل .. جاركم .. في معرض السيارات ..
- ماذا به ؟! ..
- إنه ممدد على الأرض .. فاقد الوعي ..

وقفز عم فتحي صاحب محل قطع غيار السيارات المجاور .. وجرى مسرعا .. وسأل وهو يهرول داخلا المعرض ..

- هل يتنفس ؟! ..
- نعم .. إنه أول شيء أجريته له لكي أعرف أنه لا زال على قيد الحياة ..
- حسنا .. فلتساعدني .. هناك على المكتب عطر .. أحضره بسرعة ..

وجعل ينثر على وجهه .. وعلى أنفه .. العطر النفاذ الذي كان على مكتب الحاج حسن ..ومع تكرار المحاولات .. وبعد بضع دقائق .. أفاق الحاج حسن .. ولكنه كان يهذي كمن به مس .. وصاح في هستيريا .. والبكاء لا يتوقف .. ويجعل كلماته متقطعة ..

- أولادي .. أولادي .. يا عم فتحي .. لقد قتلتُ أولادي ..

ولم يفهم أحد .. وقالوا أن الرجل المسكين يهذي ..

وتابع حسن .. وقد نهض يلملم شتات نفسه .. واتجه صوب الباب ..

- **هيا معي .. هيا معي يا عم فتحي ..**
- **إلى أين يا حاج حسن ..؟!! هل أنت بخير ؟**
- **بخير .. أنا بخير يا عم فتحي .. ولكن أولادي ليسا بخير !**
- **إذن إلى أين تريد الذهاب ؟**
- **سوف أشرح لك في الطريق ..**
- **هيا يا بني ..هيا .. إذا كانت هذه هي رغبتك ..**
- **نعم .. نعم ..**

وجرى حسن إلى سيارته .. دون أن يضيع الوقت في غلق باب المعرض !! ..

وركب عم فتحي إلى جواره .. وهو لا يدري إلى أين هما ذاهبان ..

ولدهشة عم فتحي .. فقد توقف الحاج حسن أمام قسم الشرطة .. وأوقف السيارة كيفما اتفق ..

وبسرعة ترجل من السيارة .. واندفع حتى بدون أن يغلق الباب .. قائلا :

- **هيا يا عم فتحي ..**
- **إلى أين يا بني ؟**
- **هيا .. هيا ..**

ترجل عم فتحي .. وهو في غاية الدهشه .. وسار خلفه لا يفهم شيئا مما يجري ..

ودخل حسن قسم الشرطة .. وأخذ يصيح ..

- **أين الضابط النوبتجي .. أين مكتب النوبتجي ..**
- **نعم يا حضرة .. من تريد ؟ .. ماذا تريد ؟..**
- **أدخلني إلى الضابط .. عندي ما أريد أن أقوله ..**

واصطحبه الشرطي إلى مكتب الضابط النوبتجي .. فاندفع إلى الداخل .. ووقف أمام الضابط .. وعم فتحي وراءه لا يفهم شيئا مما يجري !

ولم يكف حسن عن الصياح .. قائلا للضابط :

- **أرجوكم .. أشنقوني .. أعدموني .. إنني قاتل .. أنا قاتل ..**

ودخل في نوبة هستيرية .. من البكاء والعويل .. وأردف في كلمات ضعيفة .. متقطعة .. يتخللها شهيق البكاء ..

- **لقد قتلت أولادي .. بنفسي .. لقد قتلت أولادي ..**

ومن خلال البكاء المرير .. جاءت كلماته ممزقة ..

وقال له الضابط :

- **انتظر حتى تهدأ .. ثم اروي لنا القصة .. وطلب له كوب من الماء ..**

وحاول حسن أن يتماسك ..

ومرت دقائق .. كأنها الدهر ..

قال الضابط :

- **والآن .. هل أنت أفضل ؟! ..**
- **نعم ..**
- **هل نفتح محضر بما تريد أن تدلي به ؟!..**

- نعم .. فلهذا أتيت ..
- تفضل ..!
- أنا حسن الشرقاوي .. ابن الحاج كمال الشرقاوي .. كان والدي تاجر مخدرات ..

وفغر فاه الضابط .. وحملق في حسن بعينيه اللتان اتسعتا في ذهول ودهشة !! ..

واستمر حسن ..

- ولم يكن لأي أحد أن يعرف أسراره أو أسرار عمله إلا أنا .. فقد كان يدربني لكي أخلفه .. ولا حتى أمي .. زوجته .. ولا أختي فرح .. لا أحد غيري كان يعرف بهذا الأمر ..

وسكت يلتقط أنفاسه .. ويجفف دموعه التي لم تنقطع .. حتى بللت وجهه .. وخدوده ..

وسأله الضابط :

- هل تريد أن تستمر فيما تقول ؟.. إنك تقول أقوالا خطيرة .. فهل تعي ذلك ؟ .. هل نسجل ذلك في محضر رسمي ؟..
- نعم .. والخطير من الأقوال فيما هو قادم من إعترافاتي ..!
- أكمل إذن ..
- لقد تماديت في أعمال الحرام .. من تجارة المخدرات .. إلى التخلص من المنافسين .. بكل الوسائل .. الوشاية بهم أحيانا .. والعنف أحيانا والقتل عندما كان يلزم ذلك .. إلى أن قتلت أولادي اليوم .. لقد قتلت أولادي .. أشنقوني .. أشنقوني .. وانخرط في البكاء مرة أخرى ..

وعم فتحي فاغر الفاه منذ أن سمع اعترافات حسن .. شيء لا يصدق !

وممن؟! .. من الحاج حسن ؟!.. إبن الحاج كمال الشرقاوي ؟!.. رحمه الله ..

وقال الضابط :

- **إشرح لي يا حسن .. هل تتمالك نفسك وتشرح لي ..**
- **أشرح لك ماذا ..**
- **كيف قتلت أولادك ؟! .. وأين جثثهم ؟!!.. ولماذا ..**
- **نعم .. نعم .. فلقد حضر الرجل الكبير ..**
- **ومن يكون الرجل الكبير يا حسن ؟!**
- **عدني بألا تندهش .. وأن تستمر في كتابة المحضر بكل أقوالي !.. دون أن تحذف منها شيئا .. أو تستثني منها شيئا .. مهما كانت غرابته ..**
- **لك ذلك ..**
- **إنه هاشم باشا !**
- **ومن هاشم باشا هذا ؟**
- **هاشم باشا عبد المقصود !!**

ولجمت الدهشة فم الضابط .. فقال حسن :

- **لقد وعدتني بأنك لن تندهش!! أرجوك لا تتوقف عن تسجيل أقوالي .. وإلا سوف أنتقل إلى قسم بوليس أخر وأكمل أقوالي .. إن لم تفعل ..**
- **بل سوف أسجل كل ما تقول .. ولكن هل لديك ما يؤيد**

اقوالك ؟

- **نعم .. بالصوت والصورة .. لقد سلمني والدي كل شيء !! ولكن دعني أكمل .. ثم اسأل ما شئت .. فقد جاء وقابلني في معرض السيارات الذي افتتحته لكي يكون ستارا لأعمالي الحقيقية .. وأخبرني بأن ابراهيم .. وهو ذراعي الأيمن ..**
- **إبراهيم من ؟!**
- **إبراهيم عبد السلام عبد السميع .. الشهير ب"شنب " .. قال أن إبراهيم ذهب إليه في مقر عمله وطلب منه أن يعمل لحسابه .. بدلا من أن يعمل لحسابي .. وجن جنون هاشم باشا .. وطلب مني التخلص من ابراهيم بأسرع ما يمكن .. لأنه استشعر فيه الخطر .. ولكن لأن الشيطان كان قد تمكن مني .. وسيطر على سلوكياتي وأفعالي التي كانت جميعها تصب في إتجاه واحد .. وهو .. أنا .. فقد فكرت في أن أتخلص بضربة واحدة من غريمي .. خطيب الإنسانة التي تسللت بسرعة إلى قلبي .. إلى أعماق قلبي .. دون أن تدري .. بل دون أن أصرح لها .. حتى لا تهرب مني .. ومن محاولاتي للتقرب منها .. إنه محمد .. خطيب أمل .. التي تعمل عندي في المعرض .. فقد اتفقت مع بسطويسي ..**

وتساءل الضابط :

- **ومن يكون بسطويسي .. وما اسمه بالكامل ؟!**
- **انه بسطويسي عبد العال بسطويسي .. الذي خلف ابراهيم .. وأعطيته هذا المكان الهام في العمل .. على أن ينفذ لي**

خطتي الشريرة .. بأن يفجر سيارة ابراهيم .. ومحمد .. وهما قادمان من الإسكندرية اليوم ..

وهنا تساءل الضابط :

- **وهل فعل ؟! .. وما دخل أولادك بكل هذه القصة ؟!**

قال حسن :

- **لقد تخلف محمد .. وركب بدلا منه مصطفى و دينا .. فقد كانا مع فرح أختي بالإسكندرية .. وهي مصادفة غريبة من ترتيب القدر !! فلم يكن سفرهما في الحسبان !.. لكي يرد لي القدر الإنتقام .. لقد انتقم ربي مني .. في أولادي .. لكي يوجعني الإنتقام .. وقد أوجعني .. انا أستحق الشنق .. لم أترك شيئا سيئا لم أفعله .. أنا شرير .. يستحق العقاب ..**

وتساءل الضابط :

- **وأين هي فرح الآن ؟!**
- **إنها في الإسكندرية ..**

وفي دهشة كبيرة .. قال الضابط :

- **يا حسن .. إنك تتحدث عن أسماء كثيرة .. وأحداث كثيرة .. وأماكن مختلفة .. إنك تروي قصة لم أستطع الربط بين أجزائها بوضوح ..**

ثم توقف قليلا .. قبل أن يسأله ..

- **هل لديك ما تريد أن تضيفه يا حسن ؟!**
- **أريد أن أعتذر لأمي .. وأختي فرح .. فلم تكونا تعرفان شيئا عني .. ولا عن أبي ..**

- **حسنا .. وقع على أقوالك يا حسن .. وأنت يا حاج .. تقول أن اسمك الحاج فتحي ..**
- **نعم يا حضرة الضابط .. فتحي عبد الجواد محمد ..**
- **من فضلك وقع شاهد على أقوال حسن ..**

ثم وجه حديثه لحسن ..

- **سوف نقوم باحتجازك هنا يا حسن .. حتى نعرضك على النيابة في الصباح مع أقوالك ..**
- **لقد حضرتُ إلي هنا بنفسي لكي أدفع ثمن كل ما فعلت .. وثمن قتلي لأطفالي الذي أوجعني كثيرا .. ولن يكفيني ثمن هذا كله إلا شنقي ..**

قال الضابط وهو يستعد لإيداعه الحجز ..

- **فلندع هذا للقضاء .. هل لنا برقم فرح .. فأنا أرغب في سماع أقوالها ..**
- **إنها ليس لديها أية أقوال .. فهي لا تعرف شيئا مما حدث ..**
- **مجرد دردشة ..**
- **لا مانع .. لا مانع .. ولكن بلا قسوة ..**
- **كان الأولى أن نقسو عليك .. فهل فعلنا ؟**
- **لا ..**
- **قل لنا الرقم إذن ..**

وأعطي حسن رقم موبايل فرح للضابط .. وهو لا زال مترددا .. قلقاً ..

وأدار الضابط رقم موبايل فرح .. بعد إيداع حسن الحجز ..

وجاء صوت فرح على الطرف الأخر .. باكيا .. منهارا ..

- ألو
- السلام عليكم ..
- سلام عليكم .. من معي ؟!

جاء صوت فرح ضعيفاً .. متهالكا .. لا يخفى على أحد أنه من شخص يبكي بكاء مريرا ..

- الآنسة فرح ؟.. واضح أنني طلبتك في وقت غير مناسب .. أرجو المعذرة .. وسوف أطلبك في وقت أخر ..

كادت توافق على إغلاق الخط .. على أن يطلبها في وقت أخر .. إذا أراد .. إلا أنها تمالكت .. وأرادت أن تعرف من يكون المتحدث .. وكيف حصل على رقم هاتفها ..

- نعم .. ولكن من أنت ؟! .. ومن أين حصلت على رقمي ؟!

وأخذ أمجد الهاتف من فرح .. وقد كان أكثر تماسكا .. وقال متسائلا :

- من معي من فضلك ؟
- معك قسم شرطة السيدة زينب ..
- نعم ! .. وماذا تريدون من فرح ؟!
- بخصوص أخيها حسن ..
- وماذا به حسن .. لقد كان يصرخ في التليفون .. ويبكي .. ويهذي ببعض الكلمات الغريبة ..
- مثل أنه قتل أولاده؟! ..
- نعم ..

- **وهل حدث شيء من ذلك ؟ .. أقصد .. وهل فعل ذلك حقيقة لأولاده أم أنه يهذي ..**
- **يا فندم أولاده معي الآن .. وابراهيم نفسه .. وحتى بسطويسي .. جميعنا بخير ..**

وقطب الضابط حاجبيه .. وأسقط في يده .. هل هو حقيقي يسمع أحدا يحدثه بما يسمع ؟!.. هل هو في حلم غريب ؟!..

وتساءل الضابط في دهشة ..

- **ماذا تقول ؟!.. من معي ..؟! ..**
- **يا فندم نحن أيضا كنا في صدمة شديدة عندما علمنا من بسطويسي ومن ابراهيم كل شيء .. لقد علمنا بالقصة الكاملة .. وفرح منهارة والجميع في ذهول ..**

ولم يستطع الضابط أن يخفي حيرته وعدم استيعاب كل ما يقال له !

- **من أنتم .. وماذا تقولون ؟! لم أعد أفهم شيئا ..**
- **يا فندم جميعنا الآن في طريقنا إلى القاهرة .. قادمون من الإسكندرية .. سوف نعرج على سيادتك في قسم شرطة السيدة زينب أولاً .. و قبل أن نعود إلى منازلنا ..**
- **وماذا عن الأطفال ؟!**
- **إنهم معنا يا فندم .. بخير..**
- **أرجوكم .. أنا في انتظاركم في القسم .. لن أهدأ حتى أراكم .. وأعلم أنكم حقيقة موجودين .. وأنني لا أحلم ..**

الفصل الحادي عشر

الصاعقة

مثل صاعقة رهيبة .. انقض هذا الخبر المشؤوم على فرح .. وأصيب الجميع بالذهول .. فرح وأمجد وأمل ومحمد .. هل هو كابوس مخيف ؟!

أم أنه هذيان ؟! .. هل هذا شيء يمكن تصديقه؟! ..

أبي .. الحاج كمال .. كان تاجر مخدرات ؟! ..

وأمي .. هل تعلم بهذه المصيبة الكبرى ؟! .. مستحيل .. إنها تصلي بخشوع يكاد يفطر قلبها .. إنها لا تفعل شيئا إلا ما يقربها إلى الله .. ولا تبتعد عن شيء .. إلا ما يبعدها عن الله .. كيف ؟! وأبي ؟! .. لقد كان هو أيضا كذلك ؟! .. لقد كان مثالا للتقوى والورع !! لم يكن يصلي الفجر إلا في المسجد !! وكثيرا من الجمعيات الخيرية كانت تعلم أنه رجل صالح .. لم يتبرع لهم أحد مثلما تبرع هو لهم !! فمن أصدق ؟! .. ومن أكذب ؟! ..

وأخفت وجهها بين كفيها .. وانخرطت في بكاء مرير ..

- **هل معقول أن أمي كانت تعلم أن زوجها تاجر مخدرات ؟! .. وكيف قبلت أن تعيش معه .. وأمواله كلها من الحرام ؟!**

أم تراه كان يخدعها ؟ وحسن ؟! .. ال..ح..ا..ج ..ح .. س .. ن ..!! .. تاجر مخدرات ؟! ..

وهل خصه أبي هو فقط بهذا السر اللعين ؟!..

أم أنني أنا الوحيدة .. في هذا البيت الموبوء .. البلهاء التي لا تعرف شيئا مما يجري حولها ؟! .. وكيف استطاع أبي .. ومعه حسن .. أن يخفيا هذا السر الرهيب عن الجميع ؟! .. هل تعلم شيئا عن هذه الأمور يا أمجد ؟! ..

وكان وجه أمجد يشي بأنه لا زال غارقا في حالة الذهول التي سيطرت عليه .. وعلى الجميع ممن حوله ..

ولم يعلق أمجد على سؤالها .. فلن يسمح لنفسه أن يتفوه بما يسيء إلى والد فرح .. وأخيها .. مهما كان الأمر !

ولم تكف عينا فرح عن ذرف الدموع .. طوال الطريق إلى القاهرة ..

وكان الصمت الرهيب هو سيد الموقف .. إلا ما كان يصدر من فرح من شهقات تقتل الفؤاد .. وهي تبكي هذا البكاء المرير ..

وغرق قلب أمل في الأسى لدى سماعها هذه الأخبار الرهيبة .. وقد تجمد الدم في عروقها ..

وكان الصمت يغلفها بحزن عميق .. وهي لا تعرف كيف تواسي فرح ؟! .. وكيف تخفف عنها وطأة هذا الخبرالذي أطاح بفرح من عل إلى هوة سحيقة ليس لها من قرار ! .. وغمر قلبها ألم شديد جعل يعصره بضراوة .. كأنما انغرست فيه أنياب حيوان مفترس ..

أما أمجد فكان يراقب فرح بحزن شديد .. وينظر إليها بعينين مشفقتين . . قلقتين .. مضطربتين .. ويشعر أنها في

مواجهة كارثة لا تعرف أين تنتهي .. ربما إلى بئر سحيق لن تخرج منه أبدا !!

ثلاث ساعات مرت .. وكأنها ثلاثة أيام .. والضابط النوبتجي يعدها بالثانية .. انتظارا لفرح وأمجد .. والباقين ..

- **وأخيرا .. ها أنتم وصلتم بعد طول انتظار .. بصراحة .. لا وقت لكي أنفقه في إراحتكم من متاعب السفر.. أريد منكم إجابات .. على أسئلة لا حصر لها .. فقط إجلسوا .. آسف على عدم الترحيب بكم جميعا .. مرحبا بكم .. ولنبدأ ..**

وقال مستطردا .. بعد أن صمت قليلاً :

- **من فضلكم .. عرفوني بسرعة على أسمائكم حتى أناديكم بها .. واحدا بعد الآخر..**
- **أمجد ..**
- **محمد ..**
- **بسطويسي ..**
- **ابراهيم ..**
- **فرح ..**
- **أمل .. وأحبائنا .. مصطفى .. ودينا ..**
- **أهلا بكم جميعا .. بسطويسي ..**
- **نعم يا فندم ..**
- **أنت بطل كل هذه القصة .. بناء على ما قد أكون فهمته من حسن !!**
- **بالضبط يا فندم ..**

- **أريدك أن تؤكد لي بنفسك الأحداث .. أريدها كاملة بتفصيلاتها التي قد لا تراها هامة ..**
- **يا فندم .. بصراحة كانت الإغراءات التي قدمها لي الحاج حسن كفيلة بأن تجعل الكثيرين يغلقون قلوبهم .. ويقتلون ضمائرهم .. إذ فجأة .. من شاب يبحث عن عمل .. إلى شاب يجلس على كرسي من الذهب .. ويأكل كل الخيرات التي حلم بها .. وحتى التي لم يستطع أن يحلم بها ..**
- **وضح يا بسطويسي .. ماذا أعطاك .. وبماذا وعدك .. وماذا طلب منك؟**
- **يا فندم ابراهيم صاحبي من زمان .. وربما كانت ظروفي الصعبة هي التي أوحت للحاج حسن أنني هو الشاب الذي يبحث عنه .. لكي يطلب منه أي شيء .. فلا يرفض .. ويطيعه طاعة عمياء .. فقد وعدني بالآلاف .. مقابل أن أفعل أي شيء .. بدون سؤال .. وفي البداية .. بصراحة .. هزمني الشيطان .. وهزمتني غرائزي .. وأبديت الموافقة .. وكان واضحا أن موافقتي غير المشروطة أسعدت الحاج حسن .. فقد شعر أن اختياره لي كان موفقا .. هذا ما أحسست به .. فقال لي أن ابراهيم قد خانه .. ولو أنه لم يقل لي كيف خانه ابراهيم .. وأنا لم أسأله .. فلم تكن الأسئلة مسموحاً بها .. وأخبرني أن ابراهيم سوف يذهب في صباح اليوم التالي إلى الإسكندرية .. يقصد اليوم .. وطلب مني أن لا أدع ابراهيم يعود من الإسكندرية بأي صورة .. وبأي شكل .. وكل**

التصورات متاحة .. لقد قرر أن يرسله إلى المقابر .. وحدد موعد وفاته اليوم .. وكأنه هو الله .. والعياذ بالله .. الذي يحيي و يميت .. قلت له سوف أقطع فرامل السيارة .. قال أن هذا الحل احتمالي .. فقد ينجو ابراهيم حتى لو أدى إفساد الفرامل إلى حادث .. قد لا يكون حادث موت .. وكان الحاج حسن لا يريد احتمالات .. فقد صمم على أن يموت ابراهيم اليوم ! .. اليوم !! فكان الحل الأمثل هو تفجير السيارة عن بعد !! .. وتناثر السيارة نفسها إلى أشلاء .. حتي بعد أن قلت له أن محمد سيكون معه بالسيارة .. قال لي في عدم إكتراث :

- **وماذا في ذلك .. كل العمليات قد تنطوي على ضحايا .. ! وسلمني مبلغ خمسين ألف جنية !! .. تحت حساب العملية !!.. ولكنني لم أسلم من تأنيب ضميري .. ولم أنم .. ولكنني صممت على أن أشتري ضميري .. وأشتري أخرتي .. فأنا لا أعمل صحيح .. وفقير صحيح .. ولكنني لستُ قاتلا ! .. وهذا ما جعلني أذهب إلى الإسكندرية وأحذر ابراهيم .. ومحمد**
- **تحذرهما من ماذا .. ما دمت أنت نفسك قررت ألا تنفذ العملية ؟! مم كنت خائفاً ؟!**
- **نعم يا فندم .. فقد خشيت أن يكون الحاج حسن قد وضع خطة أخرى بديلة في حال فشلي .. فقد كان تصميمه على قتل ابراهيم و محمد غريب جدا ! .. وهو ما جعلنا نعود جميعا في سيارة الأستاذ أمجد ..**

- **ولكن هذه القصة أغفلت شيئا هاما جدا ..**

فقالت فرح التي كانت تتابع سرد بسطويسي لهذه الأفكار الشيطانية .. التي كانت تسيطر على أخيها حسن .. رغم أنها طوال حياتها تراه ملكا من السماء في صورة بشر !!

- **ألا وهي الهستريا التي أصابته وصراخه وقوله .. قتلت أولادي .. قتلت أولادي ..**
- **نعم يا فرح .. فهذا السؤال لم تجب عليه قصة بسطويسي ..**
- **نعم يا فندم .. هذا لأن ابراهيم نسي هاتفه الخلوي مع أمجد .. واصطحب مصطفى ودينا لكي يشتري لهما آيس كريم .. فاتصلت أنا بأخي حسن لكي أخبره بأن هاتف ابراهيم مع أمجد .. إذا أراد أن يتصل به فعليه الإنتظار حتى يعود بالأولاد .. فاعتقد حسن أن بسطويسي قد فجر السيارة وبها الأولاد .. فجن جنونه .. واعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد انتقم منه في أولاده .. لكي يكون انتقاما شديدا .. لأن حسن يحب أولاده حبا جما ..**
- **إذن يا شباب .. سوف نحتاج إلى شهادتكم ..**

فقال بسطويسي :

- **شهادة فقط يا فندم ؟!**
- **وهل فعلت شيئا يا بسطويسي ؟!**
- **أبدا والله يا فندم ..**
- **إطمئن يا بسطويسي .. فمثلك علينا تقديرهم . . ومكافأتهم ..**
- **وأنا يا فندم ..**

قال ابراهيم ذلك مبتسما ..

- **يا ابراهيم .. احمد ربنا انك لا زلت على قيد الحياة .. بعد هذه الخطة المحكمة .. فأنت في قسم الشرطة .. ولستَ في المقابر!**
- **وانت يا محمد .. حمدا لله على سلامتك .. كان الموت في إنتظارك .. والخطط يتم تدبيرها لإيداعك المقابر !**

وهكذا أدخل حسن الحجز .. في قسم الشرطة ..

كل أفكار الدنيا .. تزاحمت في رأسه ..

كل ما فعله من أخطاء .. تحولت إلى وحوش ضارية تلاحقه لكي تفتك به .. وتغرس أنيابها في قلبه ..

لقد أطل عليه الماضي من كل نوافذه الظلامية .. وكل ما فعله من شرور ..

وحدث نفسه كمن أصابه مس ..

- **سوف يشنقونني .. وقبل أن يشنقوني سوف تفتك بي أخطائي وأفعالي الإجرامية .. سوف تقتلني أشباح من أدمنوا المخدرات بسببي .. وسوف تلفني سحب من المصير المجهول الذي ينتظرني .. فتذهب عقلي .. يإ الهي .. ما أشقاني .. أليس هذا هو السقوط من المرتفعات الذي طالما طارد أبي في أحلامه ؟! .. أسقوط بعد هذا ؟! الآن فقط أستطيع أن أفسر كل الأحلام والكوابيس التي طاردت والدي .. وراودته في كل أحلامه ..**

لقد كان يحلم لي !!

هل ذلك ممكن ؟! ..

لماذا لم يستجب والدي لهذه التحذيرات؟! ..

ولكنه قتل .. وأصابته الرصاصة في رأسه .. وكانت يداه ترفرفان كجناحي طائر .. إنني أتذكر ما كتب في الجريدة عن الحادث .. كانت الأحلام له أيضا .. كانت لنا كلانا .. كانت تحذيرا .. لم نستجب له ..

وضم شفتيه .. وهز رأسه كالمخبول ..وواصل ..

- **على أي حال .. لن يفيد الندم .. فقد سبق السيف العزل .. ولكن ..أولادي الأبرياء .. لماذا يدفعون الثمن ..؟!**

وأمي .. هذا الملاك الطاهر .. لماذا فعلتُ ذلك بها ؟!

ولماذا فعل أبي ذلك فيها من قبلي ؟! وماذا سوف تقول ياتري عني وعن أبي .. كيف تتحملين هذه المصيبة الكبري يا أمي ..

وتذكر أمه المسكينة .. يوم أن اشترى لها أبوه الفيلا ..

فقد نامت ملء جفنيها .. هانئة .. لا تسع الدنيا سعادتها .. بعد أن قبلت أبوه .. وهي تقول له :

- **أشكرك يا حبيبي .. على كل ما تفعل من أجلي .. ومن أجل سعادتي ..**

وتساءل وهو يتذكر والده ..

كيف طاوعه قلبه أن يفعل ذلك .. في هذه الإنسانه التي

أحبته كل هذا الحب !.. وأخلصت له كل هذا الإخلاص ..

ولكن والده أيضا قال له أن جفناه لم تريا النوم يومئذ .. و أنه لم يهنأ له بال ..

لقد كان صراعا إذن .. بين الطريق القويم .. والشر.. الذي سيطر عليه .. وانتصر !!

لماذا لجأ إلى الله إذن .. حين قال يا رب سترك !!

هكذا أسر له أبوه ..عندما فتح له بئر الأسرار الرهيب .. وقال له أنه نظر إلى حسناء التي تنام في سكينة وطمأنينة ..

والطفولة البريئة تتجسد في وجهها الناعم المشرق.. وكيف لا .. وهي لا تعرف من الدنيا إلا الحب .. والخير ..والصلاح ..

بينما هو .. يطارده شبح الماضي ..

لقد تمكن الشيطان من قلبه .. حتى لم يبقي له سقفا من الأخطاء .. كل شيء مباح .. و يا له من شقي .. من تسيطر هذه الفكرة الشيطانية على رأسه .. بأن كل شيء مباح ..

ويا له من شقي .. من يتمكن حب الدنيا من قلبه .. فلم يعد للآخرة مكانا في ضميره .. ربما كان أبي فخورا بذلك ..

ربما كان والدي فخورا بأسرته في الشرقية .. التي كان هذا أيضا هو حالها .. أليس ابن الوز عوام !

أليس من حقه أن يكون ابن أبيه ؟! ..

لقد أراد أبوه الثراء السريع .. فلم يكن لديه ما يردعه عن أن يسلك طريق الإتجار بالمخدرات ..

وأراد أن لا ينافس سطوته أحد .. فكان العنف والقسوة

هما سبيله لتحقيق ذلك ..

إلا أنه نسي أن لا شيء يدوم ..

وظهرت له عائلة المرشدي .. لقد قست شوكتها أكثر ..

ونمت ثروتهم إلى أرقام مخيفة .. وانتشر بين الجميع الخوف من سطوتهم .. وجبروتهم .. مما أثار عائلة الشرقاوي .. الذين شعروا أن البساط قد انسحب رويدا .. رويدا .. من تحت أقدامهم.. فكان أن امتلأت القلوب غلا .. وحقدا .. وكراهية .. بين أفراد كلا العائلتين .. وعندما تصل الكراهية إلي حد معين .. فلا حاجة لحادثة كبيرة لإثارة الفتن والإقتتال بين الأولاد في العائلتين .. فالرغبة في الإقتتال موجودة .. والإستثارة موجودة.. والطاقة السلبية موجودة .. إنها في حاجة إلى أبسط احتكاك لكي تتولد شرارتها .. وتتوهج نيرانها .. إلى مدى لا يعرفه إلا الله ..

ومعظم النار .. من مستصغر الشرر ..

إنهم يشعلون نارا .. لا يعرفون كيف يطفئونها !!

وهكذا .. وفي غمضة عين .. أصبح أبوه قاتلا ..

لقد قتل أحدهم من عائلة المرشدي .. من أجل مغازلة فتاة .. ربما لم تكن تستحق أن يفقد أحدهم يوما واحدا من مستقبله .. أو حاضره .. من أجلها .. إلا أنها أصبحت اليوم أكثر من ذلك بكثير !!

فلقد فقد أحدهم حياته كلها .. وفقد الآخر حريته .. إلى الأبد .. حيث قدر عليه أن يعيش مطاردا .. كالفأر المطارد .. لا

يطيب له العيش في مكان .. حتي يضطر إلى الإنتقال القهري إلى مكان أخر .. إنتظارا .. في خوف ورعب .. لموعد انتقاله إلى مكان جديد ..

لا وقت للتفكير . .

فعندما يجد الفأر نفسه مطاردا .. فلن يجد الوقت لكي يفكر.. أي الجحور أفضل له .. وأيها أكثر مناسبة .. ويلقي بنفسه في أول جحر يصادفه ..

وهكذا .. تحت جنح الليل .. ابتلع الظلام جسد كمال .. ومعه بعض الحقائب .. امتلأت بالملابس .. والأموال .. التي تكفي .. حتي يستطيع كمال أن يشق طريقه الجديد .. في المكان الجديد ..

obeikan.com

الفصل الثاني عشر

العدالة

كانت فضيحة كبري قد تناولتها كل الصحف ووسائل الاعلام المختلفة .. تلك التي غطت محاكمات رجل الدولة ذات المستوى الرفيع .. في قضية تجارة المخدرات .. وقد كانت الأدلة التي قدمها حسن الشرقاوي أدلة دامغة ..

وكان محمد يتابعها مع أمل .. فهذا دليل جديد على أن البلد بخير ..

وأنه لا أحد فوق القانون ..

ولم تترك أمل صديقتها فرح في هذه المحنة التي ألمت بها ..

وكان محمد ينضم اليهما بين الحين والحين .. عندما يكون أمجد موجودا ..

- **كيف هي الوالدة يا فرح اليوم .. لقد كانت الصدمة عنيفة عليها .. كان الله في عونها ..**
- **لقد كانت الصدمة أكبر مما تحتمل يا أمل .. انها لم تستوعبها حتى الآن ..**
- **إن ما ضاعف من المشكلة .. هو أن والدك أخفى عليها هذا السر سنوات وسنوات .. دون أن تكشف أمره ..**
- **كانت تعتقد أنه يعمل في مجال الإستثمارات العقارية .. في الإسكندرية .. فقط هذا النشاط ..**
- **علمت أنك قابلت المحامي الخاص بالعائلة .. وأن أمجد**

استدعاه لكي تناقشوا وضع العائلة من النواحي القانونية والمالية ..

- **نعم .. إن الوضع كارثي .. ولكن علينا اختيار المسار الذي يتفق مع ديننا .. ومبادئنا .. وأخلاقياتنا .. وقيمنا .**
- **الوضع خطير .. ويحتاج إلى قرار شجاع ..**
- **هذا هو ما تم الإتفاق عليه .. فقد قررنا الإعتماد على نصيب ماما في شركة دار السلام للإستثمارات العقارية و السياحية .. وهو الذي كانت قد ورثته ماما بعد وفاة جدي لأمي .. أما شركة الإسكندرية للإستثمارات العقارية والسياحية .. فهي شركة مملوكة لأبي فقط .. وهذا ما جعل ماما تقرر أن نتصرف فيها كصدقات أو وقف أو تبرعات .. هذا بالإضافة إلى باقي أملاك أبي .. سواء العقارية .. أو في البنوك .. كل أرصدته الدائنة .. لن نبقي منها أي شيء ..**

وتوقفت فرح قليلا عن الكلام .. ثم أردفت قائلة :

- **وبالمناسبة .. فهذه أيضا رغبة أخي حسن .. إنه لم يعد يرغب من الدنيا إلا رعاية مصطفى ودينا .. وضمان حياة سعيدة لهما .. ومستقبل آمن و سعيد .. بعيدا عن المال الحرام !**
- **وأمجد .. ماذا كان تأثير هذه الكارثة على أهله .. كيف واجههم أمجد .. فمن المؤكد أنه خاض معارك كلامية معهم بأنكِ لا دخل لكِ بما حدث ..**
- **تعلمين يا أمل أن أمجد انسان رقيق جدا .. وهو يحافظ علي**

مشاعرالأخرين .. ولم يشأ أن يسبب لي أي إحراج أو تجريح .. فقط قال لي أن الموضوع قد انتهى مع عائلته على خير .. وهم يقدرون موقفي وموقف ماما .. وأن لا شيء ترتب على الأوضاع الجديدة لأسرتي .. فهم يتعاطفون معنا ..

- واضح طبعا يا فرح .. فأمجد يحبك كثيرا .. وهو من أسرة كبيرة وعريقة .. ومن المؤكد أنهم هم أيضا يحبونك كثيرا ..
- وما أريدك أن تعرفينه يا أمل هو أنني ومعي ماما و أمجد .. قررنا أن نخص حي " قلعة الكبش " .. بالنصيب الأكبر من هذه التبرعات .. والوقف .. وقد وجهنا المحامي فعلا لأن يعد الترتيبات اللازمة من النواحي القانونية ..
- لا أخفي عليك يا فرح حالة الحزن والإحباط التي أصابت أهل الحي ..
- عليك أن تخبريهم إذن هذه المعلومات ..
- قد يكون عليك أن تخبريهم هذا بنفسك يا فرح .. فأنتِ تعلمين مدى حبهم وتقديرهم لكِ .. وأنا آسفة على طلبي هذا .. فأنا أعلم أنك تواجهين مشاغل و مشاكل كثيرة هذه الأيام ..
- هل تعلمين أن بعض أعضاء " جمعية مصر للتنمية البشرية " ألذين حضروا إلى الحي من قبل معنا .. قد أخبروني بأن شيئا لن يتغير من البرنامج الذي أعدوه للحي من قبل ..
- وأنا التي اعتقدت بأنه لن يكون بيننا في الحي وبينهم أي تواصل .. ولكن اتضح حقا أنهم أهل خير ..
- ولماذا يا أمل ؟! .. هل لكم دخل بما حدث ؟!

ثم قالت مبتسمة :

- **بالعكس .. لقد كنتم على وشك تقديم ضحية هي أحد أبناء الحي !!**
- **نعم .. لقد كان حسن يخطط له للتخلص منه دون أن يدري أحد .. ومحمد خلوق كما تعلمين .. ليس له يد في أي أعمال شريرة .. أو خبيثة ..**
- **أما أنت يا أمل فيمكنك أن تعودي إلى عملك بالمعرض ابتداء من غد .. إذا لم يكن لديك مانع ..**
- **ألم تقولي أنكم قررتم تصفية أعمال والدك و الحاج حسن .. كلها .. والتصرف فيها على شكل تبرعات ..؟**
- **نعم .. ولكن بالنسبة للمعرض .. فقد قررت أسرة أمجد .. بالإتفاق معي ومع والدتي .. أن يتم تقدير رأسماله .. ويدفعونه بالكامل .. حتى يتم ضمه إلى باقي المبالغ التي سوف يتم التبرع بها .. على أن تؤول ملكية المعرض إلى أمجد .. وقد أبلغنا أخي حسن .. ورحب جدا بذلك .. فهو جاد في توبته .. كما أنه لا يريد أن ننفق على مصطفى ودينا من المال الحرام ..**
- **سبحان الله .. يهدي من يشاء .. و يضل من يشاء ..**
- **سبحان الله .. أين حسن اليوم .. من حسن الأمس .. لماذا يلقي الإنسان نفسه إلى التهلكة .. ويهلك معه من أحبوه .. وأحبهم .. ثم يفيق بعد فوات الأوان ..**
- **لقد كان الله في عون والدتك يا فرح !!**

- نعم .. لقد وقعت الضربة عليها قاصمة .. انها ما أن تفيق حتى تتذكر ما حدث .. فتقول .. وكأنها تحدث نفسها ..
إن الأنباء السيئة سرعان ما تنتشر .. فماذا أفعل .. لم أكن أستحق منك كل هذا الذي فعلته بي يا كمال .. وبابني حسن .. وبأسرتنا جميعها .. لماذا لم تشركني في هذا الأمر الخطير .. لكنت منعتك من الإستمرار فيه في الوقت المناسب .. وقبل فوات الأوان ..
ثم تنخرط في بكاء مرير .. لا يستطيع أن يوقفها منه أحد .. حتى يغلبها النعاس فتدخل في سبات ونوم عميق ..
- إنني لم أستطع أن أتمالك نفسي عندما وصلنا إلى هنا قادمين من قسم الشرطة في ذلك اليوم المشئوم .. هل تذكري يا فرح كيف وجدنا والدتك ؟! .. لقد كانت في حالة انهيار تام ..
- وكيف أنسى .. لقد كانت ممددة على الأرض بلا حراك .. وقد شحب وجهها حتى ظننت أنها قد فارقت الحياة .. ولقد كانت تبدو ميتة حقا !.. وشهقت وأنا أرتعش من الخوف .. ونظرت إليها فوجدتها قد فتحت عينيها الداكنتين .. وارتميتُ بين ذراعيها واستلقينا على السرير وانفجرنا في البكاء المرير معا .. ثم غرق كل شيء في ظلام رهيب .. وساد الصمت .. ومع الصمت تكونت أفكار أفظع مما يمكن للكلمات أن تصف ..ولم أستطع أن أعبرعنها .. وبلعت ريقي مرات ومرات .. لكن جفافا مفاجئا قد أطبق طرفي حنجرتي على بعضهما .. وأخذت أصرخ وأبكي .. لكن الدموع فاضت في صدري

قبل أن تنحدر من عيني ..

وظلت أمي طريحة الفراش .. عليلة النفس .. مضطربة .. وفقدت حيويتها على الرغم من الجهود التي بذلها الجميع لمواساتها ورفع معنوياتها .. بعد هذه المصيبة المضاعفة .. وما من أحد استطاع أن ينزع الألم الذي كان يسحق قلبها .. وضاقت الدنيا في وجهها .. كما فقدت قدرتها على استيعاب ما حدث .. وما استطعت أنا نفسي من أن أخفف من ألمها وأسباب حزنها .. حتى تتخلص من الكوابيس والوساوس .. التي كانت قد سيطرت عليها .. في نومها .. وفي يقظتها !! يا إلهي !

ومدت فرح منديل ورقي كان في يدها ومسحت به سيل من الدموع تسلل من عينيها .. وانحدر على خديها .. وقالت ..

- **ما يحزنني يا أمل أن الجميع قد علم بالعار الذي ألحقته هذه الأخبار بالعائلة .. ما جعلنا لا نرفع رؤوسنا بين الناس .. وجعل أمي المسكينة تلزم فراشها .. وقد رزحت كل آلآم الدنيا فوق قلبها .. وأثقلت صدرها بالهم والأحزان .. حتى أنها كانت تتمنى لو أنها تموت في الحال .. وكانت تقول دائما لنفسها :**

" لن يكون بوسعي أن أرفع رأسي بعد الآن .. لقد أخجلتنا التصرفات المشينة وتجارة كمال في المخدرات .. لقد ظلمني الجميع .. زوجي .. وابني .. والناس ! .."

وفي غرفتها .. جلست حسناء وحيدة .. تصارعت الأفكار

على مخيلتها ..

وانفجرت بالبكاء والدموع تحرق عينيها .. والذعر يستولي على جسدها المرتعش .. وأسقط في يدها .. وغرق قلبها في الحزن ..

لقد كان ذلك اليوم أطول يوم في حياتها ..

ولكن فرحة القوية .. مع مرور الوقت .. استطاعت أن تسيطر على مشاعرها.. وكان عليها أن تحاول إيجاد السبيل الذي يهديء من روع أمها .. وأن تخرجها شيئا فشيئا .. من هذه الهوة السحيقة التي القاها فيها زوجها وابنها .. بغير رحمة و لاشفقة ! .. تضافرت جهودهما .. والقيا بجسدها في جحيم لا هوادة فيه ولا رحمة ..

ولأنه لا شيء يدوم ..

ولأن الزمن كفيل بحل الكثير من المشاكل ..

فقد استطاعت فرح أن تخرج أمها من هذا البئر اللعين ..

وتنقذها من هذا الجحيم المستعر ..

وتذكرت حسناء دور الأيتام .. وتذكرت الجمعيات الخيرية ..

وقررت أن تعود حياتها إلى سابق عهدها في عمل الخير ..

ورعاية الأيتام ..

واستدعت الأم إبنتها ذات صباح .. وكانت تداعب أحفادها ..

وتلهو معهما .. وقد كانت فرحة قد اشترت لهما لعب جميلة مما يحبان أن يلعبا بها .. ويلهوان ..

قالت لها فرح برفق :

- **نعم يا ماما ..**
- **عليك يا فرحة مراعاة مشاعر أمجد .. إنه لا يريد أن يفرض عليك أمرا قد لا ترتضيه .. ويترك لك المسألة بكاملها حسب ظروفك النفسية ..**
- **وماذا عليَّ أن أفعل يا أمي .. هل ترين الوقت مناسب لإتمام الفرح ؟!**
- **من أجل أمجد يا إبنتي ..**
- **وأنت يا أمي .. على أي أمر أنتِ عازمة .. فيما يخصك .. ومصطفى ودينا ؟!.. ماذا عنهما ؟ ..**
- **لقد تعافيتُ بحمد الله يا فرح .. وقررتُ أن أستمر باقامتي هنا .. ومعي الأولاد .. أرعاهما كما عاهدتُ حسن على ذلك .. ولاشك أن أمل سوف ترعى المعرض على أكمل وجه .. وسوف يساعدها أمجد في هذا الشأن ..**
- **إذن يا ماما قد فكرتي في كل شيء جيدا ..**
- **والآن دورك يا فرح ..عليكِ الإتصال بأمجد وتحديد موعد الفرح .. عليك أن تفكري في ذلك ..**
- **حاضر يا أمي .. فما رأيك في الخميس الأول من الشهر القادم ؟! سوف أخبره بهذا الموعد ..**
- **على بركة الله يا فرح .. فلتتصلي بأمجد وتخبريه بذلك .. ولسوف يسعد كثيرا لهذا القرار ..**

" تمت بحمد الله "

رقم الإيداع :

1451674

2015/10/27

obeikan.com

صدر للكاتب

1 - الماضي يعود دائماً	رواية
2 - هل أغفر ؟	رواية
3 - الحب الحقيقي	كتـاب
4 - عصيـر الخيـانة	رواية
5 – ويجا	مجموعة قصص قصيرة